



مركز الملك عبد العزيز
للحوار الوطني

الحوار مع المرأة في ضوء قصص الأنبياء في القرآن الكريم

«نماذج مختارة»

د. هدى بنت دليجان الدليجان

رسائل
في الحوار

05 |



الحوار مع المرأة في ضوء قصص الأنبياء في القرآن الكريم

نماذج مختارة

د. هدى بنت دليجان الدليجان

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني

الحوار مع المرأة في ضوء قصص الأنبياء في القرآن الكريم.. نماذج

مختارة، هدى بنت دليجان الدليجان ، الرياض، ط ١، ١٤٣١هـ

٩٢ ص: ١٧ × ٢١ سم.

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠١٢٧-٢-٦

١ - الحوار ٢ - المرأة في الإسلام

١٤٣١/٣٢٨

ديوي: ٢١٣

الطبعة الخامسة، ١٤٣٨هـ

رقم الإيداع: ١٤٣١/٣٢٨

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠١٢٧-٢-٦

جميع حقوق الطبع محفوظة

مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني

الرياض، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

ص.ب. ٨٩٨٦٦ ، الرياض ١١٦٩٢

البريد الإلكتروني: sr@kacnd.org

www.kacnd.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المشرف العام

معالي الأستاذ: فيصل بن عبدالرحمن بن معمر

نائب المشرف العام

الدكتور: فهد بن سلطان السلطان

هيئة التحرير

رئيساً	أ. د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي
عضواً	أ. د. عبدالله بن حسين الخليفة
عضواً	أ. د. محمد بن عبدالعزيز الحيزان
عضواً	د. خالد بن عبد الكريم البكر
عضواً	د. محمد بن عبدالله الشويعر
عضواً	د. فاطمة بنت محمد القرني
عضواً	د. نوال بنت عبدالعزيز العيد
عضواً	د. وفاء بنت حمد التويجري
عضواً	أ. فاطمة بنت فيصل العتيبي

إدارة التحرير

- أ. متعب بن سلمان الشمري
- أ. عبدالله بن ناصر الخريف
- أ. خلود بنت محمد الجبران
- أ. لطيفة بنت سالم المنيع
- أ. أسماء بنت عبدالله العبد الواحد

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٩	المقدمة
١٤	التمهيد
١٤	معنى الحوار في القرآن الكريم
١٥	أنواع الحوار مع المرأة في القرآن الكريم
١٦	أهمية الحوار مع المرأة في القرآن الكريم
١٧	أولاً: الحوار مع زوجة إبراهيم عليه السلام
٢٣	ثانياً: الحوار مع المرأة في قصة موسى عليه السلام
٣٩	ثالثاً: الحوار مع ملكة سبأ في قصة سليمان عليه السلام
٤٧	رابعاً: الحوار مع المرأة في قصة آل عمران
٥١	خامساً: الحوار مع مريم عليها السلام
٦١	الخاتمة
٦٤	قائمة بأهم المراجع

تصدير

الحمد لله حمداً تقتضيه نعمه وآلؤه ، والصلوات والطيبات والتسليمات على النبي المختار ، محمد، وآله وصحبه أجمعين . أما بعد :

جاء في أهداف تأسيس مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ترسيخ مفهوم الحوار وسلوكياته في المجتمع من خلال عدة برامج منها: اللقاءات ، والندوات، والتدريب، والدراسات والبحوث .

ومن هنا عُني المركز بنشر كثير من المطبوعات التي تنسجم مع رسالته ، وتحقق أهدافه .

و سلسلة رسائل في الحوار هي واحدة من المشروعات الفكرية التي أطلقها المركز ، لتستهدف شرائح المجتمع كافة، ولذا روعي فيها سهولة العبارة، ووضوح المعنى .

ولما ينطوي عليه هذا المشروع من أبعاد ثقافية وفكرية نبيلة تلقى هذه الرسائل تفاعلاً إيجابياً من لدن الباحثين، حسب تنوع تخصصاتهم، الأمر الذي يدفع المركز إلى مزيد من الاهتمام بمثل هذه المطبوعات، ويضاعف - في الوقت نفسه - مسؤولياته تجاه المجتمع ، في ظل دعم الدولة لجهود المركز ونشاطاته .

وهذا الكتاب الذي نضعه بين يدي القارئ هو أحد ثمار هذه السلسلة والذي يحمل عنوان : (الحوار مع المرأة في ضوء قصص الأنبياء في القرآن الكريم .. نماذج مختارة) .

فللكاتب منا جزيل الدعاء والثناء، وللقارئ الكريم وافر الود والتقدير

والله من وراء القصد ..

هيئة التحرير

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ اهْتَدَى بِهِدْيِهِ، وَاقْتَفَى أثره إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . أما بعد :

فقد أكرم الله تعالى الأمة الإسلامية بأن جعلها خاتمة الأمم، وأرسل رسوله الكريم سيد المرسلين وخاتم الأنبياء نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم، وأنزل عليها خير الكتب وخاتمتها ليبيني مجتمعاً كريماً صالحاً لكل زمان ومكان، وكان من أعظم الأسس التي تساعد على أهلية المجتمع لهذه الخيرية الكريمة توفير الكرامة لأفراد المجتمع رجالاً ونساءً .

من أجل هذا اعتنى القرآن الكريم بعناية كريمة بالمرأة، وحفظ لها حقوقها المالية والعلمية والاجتماعية، وأقر لها بحق الكرامة الإنسانية، وبنى فيها القدرة على اتخاذ القرار الصائب والتعبير عنه بكل حرية، خصوصاً أن تاريخ المرأة في الجاهلية كان ركماً من المعاملة القاسية والقتل والإهانة .

من أجل هذا جاء التطبيق الفعلي لهذه المفاهيم من خلال واقع السيرة النبوية المطهرة التي كانت مثلاً رائداً في تكريم المرأة بوصفها إنساناً له مقوماته الحضارية في المعاملة الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، سواء أكانت عضواً في أسرتها، أم كانت عضواً في مجال عملها التنموي الاجتماعي المتعدد المجالات .

ونظراً للدورة التنموية الحديثة وسرعة المتغيرات العصرية ومع غياب بعض المفاهيم القرآنية الكريمة عن مجريات الواقع في المجتمع المسلم عامة، والمجتمع السعودي خاصة، كان لتغييب ثقافة الحوار عن تربية المرأة الدور الكبير في انتقاص حقوق المرأة، وتعطيل قدراتها ومهاراتها التنموية، وأحياناً بسبب قصور بعض أنواع

التربية الاجتماعية التي تسهم في كبت المهارات اللفظية، ومهاجمة الحوار لدى المرأة.

من أجل هذا كان لا بد من التركيز على بناء مفهوم الحوار مع المرأة سواء أكانت في مجتمع الرجال أم في مجتمع النساء، لعلاج كثير من السلبيات الناشئة عن عدم نشر ثقافة الحوار في المجتمع، وذلك بالرجوع إلى النبع الصافي من القرآن الكريم والسنة المطهرة في توضيح مفهوم الحوار مع المرأة، والآثار الإيجابية المترتبة على التعامل بالحوار، على الفرد والمجتمع.

أهمية البحث وأسباب اختيار الموضوع:

تكمن أهمية البحث في الالتفات إلى التدبر الأمثل لكتاب الله المجيد النبع الصافي الذي فيه خبر ما قبلنا ونبأ ما بعدنا، ففيه الحكمة الخالدة والأسلوب الأمثل لبناء المجتمع الصحيح.

ويمكن أن أجمل أهمية الموضوع بما يأتي :

- تحقيق التدبر في موضوع الحوار في القرآن الكريم، ولمَّ أطرافه؛ ليكون أنموذجاً مهماً لكيفية الحوار الصحيح بين البشر، ورفع مكانة المرأة بوصفها عضواً متميزاً له أهليته الكاملة في ثنايا الحوار القرآني الكريم.
- تشجيع أسلوب الحوار مع المرأة في المجتمع، سواء أكانت أمماً أم زوجة أم بنتاً وغير ذلك كما وردت في قصص القرآن الكريم.
- معالجة بعض جوانب القصور في الأسرة والمجتمع بعدم السماح بالحوار مع المرأة ونبذ الحوار معها، وذلك بالرجوع إلى التدبر لما في كتاب الله من القصص النبوية والتوجيهات الأخلاقية.
- تحقيق المكانة اللائقة بالمرأة التي أكرمها الله جل جلاله في كتابه، وأنزل فيها آياته؛ بتنمية أسلوب الحوار في معاملات المرأة مع أفراد المجتمع؛ لعلاج

الأخطاء المنتشرة بسبب إقصاء المرأة عن الحوار .

- تأصيل ثقافة الحوار مع المرأة؛ لمواجهة التحديات الكبيرة التي تزعم بانتقاص حقوق المرأة في المجتمعات، إما بالجري وراء دعاوي المنظمات المدنية، وإما بالتحرر من الأحكام الشرعية بسبب سوء الفهم لأحكام المرأة في الشريعة الربانية الحكيمة .

من أجل هذا عندما بادر مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني بالدعوة إلى الكتابة في رسائل الحوار ، استخرت الله الكريم في الكتابة في هذا الموضوع الذي لم يسبق لأحد الكتابة فيه - حسب علمي وإطلاعي - فشجعتني على الكتابة فيه من أهل العلم والفضل، فاستعنت بالله - عزَّ وجلَّ - على اختيار هذا الموضوع المهم، والكتابة فيه .

وأسميته: « الحوار مع المرأة في ضوء قصص الأنبياء في القرآن الكريم » .

منهج البحث :

سيكون المنهج في البحث المنهج الوصفي التحليلي، بذكر آيات من قصص الأنبياء في القرآن الكريم ، خصوصاً تلك التي وردت فيها نماذج صالحة من الحوار مع المرأة، سواء أكان بطريق مباشر أم غير مباشر، واستنباط بعض الفوائد الجلية والآثار الجميلة لترسيخ أسلوب الحوار في الأسرة والمجتمع .

وقد اتبعت في بحثي ما يأتي :

- ذكر الآيات القرآنية المرادة في موضوع البحث وتقسيمها بحسب السياق الزمني لقصص الأنبياء .
- الاستشهاد بالأحاديث الواردة في موضوع الآيات القرآنية، فأحسن طريقة في التفسير تفسير القرآن بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، مع تخريج الحديث من الصحيحين (البخاري ومسلم) أولاً أو من أحدهما،

أو من السنن والأسانيد ، مع الإحالة في الهامش إلى من أخرجه بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث .

- عزو الأقوال إلى قائلها من المفسرين والعلماء ، فإن كانت نقلاً ذكرت اسم المؤلف أولاً، ثم الكتاب والجزء والصفحة، وإن تصرف فيه بشيء من الاختصار أو التقديم والتأخير نبهت في الحاشية على ذلك بقولي: (بتصرف) ، وإن أفدت الفكرة من كلام أحد العلماء والباحثين ذكرت في الحاشية: انظر.

- استنباط الفوائد الجليلة من الآيات القرآنية، وبيان آثارها على الفرد والمجتمع بأسلوب بسيط وملائم لجميع فئات المجتمع.

- التركيز على لغة الحوار القرآني وإعجازه البياني دون الحاجة إلى البحث عن المعاني المأخوذة من الإسرائيليات التي توسع في ذكرها كثير من المفسرين رحمهم الله .

- الإيجاز في التعليق على كثير من المسائل المهمة والتلميح إليها في آيات من القرآن الكريم، خصوصاً فيما يتعلق بآثار الحوار مع المرأة الإيجابية على المجتمع، والآثار السلبية عند إقصاء الحوار مع المرأة من المجتمع.

خطة البحث :

وسيكون البحث في عدة نقاط أبرزها :

أولاً : المقدمة وتتضمن :

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره .
- منهج البحث .
- خطة البحث .

ثم التمهيد : وفيه ما يأتي :

- معنى الحوار في القرآن الكريم .
 - أنواع الحوار مع المرأة في القرآن الكريم .
 - أهمية الحوار مع المرأة في القرآن الكريم .
- أولاً : الحوار مع زوجة إبراهيم عليه السلام .
- ثانياً : الحوار مع المرأة في قصة موسى عليه السلام .
- ثالثاً : الحوار مع ملكة سبأ في قصة سليمان عليه السلام .
- رابعاً : الحوار مع المرأة في قصة آل عمران .
- خامساً : الحوار مع مريم عليها السلام .
- الخاتمة : وتتضمن أهم نتائج البحث وتوصياته .
- قائمة بأهم مراجع البحث .

وفي الختام أزجي جزيل الشكر والتقدير لمبادرة مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني الذي أسهم إسهاماً فعالاً في تشجيع البحث، وموافقته على فكرة الحوار مع المرأة في القرآن الكريم ومعالجتها بما ينفع البلاد والعباد، سائلة الله الكريم أن يوفقني إلى ما فيه الخير والسداد، وأن يجعل لي من أمري رشداً .

د . هدى بنت دليجان الدليجان

أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن

قسم الدراسات الإسلامية - كلية الآداب

جامعة الملك فيصل بالأحساء

التمهيد

دعا القرآن الكريم إلى الحوار من خلال بيان رسالة الأنبياء السابقين مع أقوامهم ، وتبلورت هذه الدعوة من خلال اهتمام القرآن الكريم بدعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى الحوار في جميع المجالات، ومع أتباعه المؤمنين بدعوته .

أولاً : معنى الحوار :

أ- الحوارُ في القرآن الكريم :

مأخوذ من مادة (ح و ر) التي تدل على الرجوع، قال تعالى : « إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ » (الانشقاق: ١٤)، والحوار: هو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، والحوار: هو مراجعة الكلام، والمحاورة: المجاورة، والتحاور: التجاوب^(١)، ومنه قول الله تعالى : « فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا » (الكهف: ٣٤) .

وقال الراغب : « الحوار : المرادة في الكلام، ومنه التحاور^(٢) »، قال تعالى : « وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ » (المجادلة: ١)^(٣) .

ب- الحوار في الاصطلاح :

الحوار لفظ عام يشمل صوراً عدة منها: المناظرة، والمجادلة، والكلام، ويمكن تعريف الحوار بأنه : محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد، هدفها الوصول إلى الحقيقة، بعيداً عن الخصومة والتعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر^(٤) .

وقد يكون الحوار مرادفاً للجدل، كما في الآية السابقة : « قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ » (المجادلة: ١) ، وقد يفترقان حين يتحول الحوار إلى لدد في الخصومة، فهو حينئذٍ

(١) انظر : ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (٢/٢٢٤-٢٢٥)، و ابن منظور، لسان العرب (٣/٢٨٢-٢٨٤).

(٢) الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص ١٤٢ .

(٣) وردت كلمة الحوار في القرآن الكريم ثلاث مرات: في سورة الكهف آية ٣٤، وسورة المجادلة آية ١، وسورة الانشقاق آية ١٤ .

(٤) انظر : جريشة، الدكتور علي، آداب الحوار والمناظرة، ص ٦٤ .

يسمى جدالاً لا حواراً، وقد يكون الحوار مرادفاً للمناظرة، إلا أن المناظرة أدل في النظر والتفكير، كما أن الحوار أدل في الكلام ومراجعته^(١)، وهو المقصود هنا؛ أي مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين، دون أن يكون بينهما ما يدل بالضرورة على الخصومة.

ثانياً: أنواع الحوار مع المرأة في قصص القرآن الكريم:

ذكر القرآن الكريم نماذج من الحوار مع المرأة لأهمية البالغة وحكمة عميقة، تستمر مع بقاء البشر على الأرض إلى قيام الساعة، ولم يأت في ذكر تلك النماذج لفظ الحوار نصاً، وإنما هي المداولة بين طرفين.

فيتنوع الحوار مع المرأة في القرآن الكريم بأنه يأتي حواراً لطيفاً، وبشارة جميلة، ووعداً حسناً، وأمرًا جليلاً، وعلاجاً شافياً وحكمةً بالغةً، فتنوع أساليب الحوار مع تنوع الأحداث والوقائع التي يريد القرآن الكريم منها صياغة المجتمع الإسلامي الكريم الذي يحترم أفرادَه، ذكوراً وإناثاً، ويربيهم على حسن الحوار بين بعضهم؛ ليؤسس قاعدة راسخة للتعامل الأمثل في الأسرة وفي المجتمع باستخدام لغة الحوار الراقية والهادفة.

وتنقسم هذه المحاورات بحسب ورودها في القرآن الكريم إلى عدة أقسام:

- حوار الملائكة مع المرأة: وتمثله قصة سارة زوجة إبراهيم -عليه السلام-، وقصة مريم -عليها السلام- وغيرها.
- حوار بين المرأة والبشر، مثل: قصة أخت موسى -عليه السلام- مع أعوان فرعون، وحوار ملكة سبأ مع قومها وغيرها^(٢). وسيأتي تفصيل ذلك في ثنايا البحث إن شاء الله.

(١) انظر: القاسم، (د) خالد، الحوار مع أهل الكتاب ص ١٠٨.

(٢) انظر: الزين، محمد بسام رشدي، المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، لفظ حوار، (١/ ٣٤٧-٣٧٧). وقد فصل فيه مؤلفه بين: أنواع الحوار الإنساني والدعوي وحوار الله مع الإنسان، وحوار الملائكة مع الإنسان، وغير ذلك، وشكله السري والعلمي، وضورته في الدنيا والآخرة، وقواعده، وغير ذلك، فقيه تفصيل مفيد ومهم.

ثالثاً : أهمية الحوار مع المرأة في قصص الأنبياء في القرآن الكريم :

تتجلى أهمية الحوار مع المرأة باهتمام القرآن الكريم بذكرها في مواضع شريفة؛ ليبين أهمية الحوار مع المرأة وآثاره الطيبة في بناء الشخصية المسلمة للمرأة والأسرة والمجتمع، ويظهر ذلك فيما يأتي :

١ . يعد اختيار أسلوب القصص القرآني لتعزيز قيم الحوار مع المرأة أسلوباً رائعاً في بناء الأخلاق ، وتهذيب النفوس ، وإصلاح المجتمعات ، وذلك لما فيها من المواعظ والدروس والعبر، وجاءت سنة النبي صلى الله عليه وسلم تطبيقاً مثالياً لما جاء في القرآن الكريم من قصص نبوية وأحكام ربانية، فكان من الأجرر متابعتها والعمل بها في ترسيخ الحوار بوصفها قيمة عليا في المجتمع الإسلامي .

٢ . تمثل الدعوة إلى الحوار عامة دعوة تطبيقية في المجتمع الإسلامي كما جاءت في القرآن الكريم، قال تعالى : {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران : ٦٤] .

٣ . يتميز الحوار القرآني الرفيع بأنه دعوة حقيقية إلى الفكر الحضاري المتكامل، الذي لا يكتفي بالتنظير والمحاكاة اللفظية، بل يتعدى ذلك إلى اتخاذ إجراءات مهمة لترسيخ هذه الدعوة القرآنية بذكر القصص والنماذج الواقعية لنجاح الحوار مع المرأة في قصص الأنبياء الكرام .

٤ . فسح القرآن الكريم المجال لذكر حوارات المرأة الكريمة؛ للدلالة على مكانتها وكرامتها عند الله -عزَّ وجلَّ- أولاً، ولترسيخ قيمة الحوار في المعاملات بين أفراد الجنس البشري .

٥ . معالجة القرآن الكريم وضع المرأة في المجتمع المسلم المعاصر بالتركيز على الحوار في قصص الأنبياء، بسبب انحراف بعض الناس عن الالتفات إلى مفاهيم الحوار مع المرأة خاصة؛ إما إلى دعوى تحررية مزعومة، وإما إلى إقصاء للمرأة عن واقع الحياة ومجريات الأحداث .

ومن هنا نبدأ بالحديث عن الحوار مع المرأة في قصص الأنبياء في القرآن الكريم مرتبة حسب السياق الزمني للأنبياء الكرام فيما يأتي :

أولاً: الحوار مع زوجة إبراهيم عليه السلام

جاء ذكر قصة الحوار الذي دار بين الملائكة الكرام وزوجة إبراهيم -عليهم السلام- في موضعين وهما: الموضع الأول: في سورة هود قال تعالى : { وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ، فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوَّجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ، وَامْرَأَتُهُ فَأَيْمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ، قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ، قَالُوا أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ } (هود: ٦٩-٧٥) .

والموضع الثاني: في سورة الذاريات قال تعالى: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ، فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ، فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ، فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ، قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ } (الذاريات: ٢٤-٣٠).

وهذا الحوار العظيم هو من أرقى أساليب الحوار، فورود الحوار في موضعين لا يعني اختلافهما وتباينهما، بل هو على العكس من ذلك يساعد على تضافر المعاني بعضها مع بعضها الآخر، ولا تتكامل الرؤية أو القصة إلا بضم الكلمات بعضها إلى بعض؛ ليتضافرا في تأدية الحالة الفكرية والوجدانية للموقف^(١).

فهو حوار ملائكي مع نبي الله إبراهيم-عليه السلام- وزوجته البارة سارة، وهم يحملون بشارة عظيمة لإبراهيم وزوجه-عليهم السلام-، وسياق الآيات يدل على أن الملائكة الكرام كانوا يحملون البشرى المباركة، قال تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ}، واختلف العلماء على قولين في معنى البشارة:

- المعنى الأول: تبشره بإسحاق.
- المعنى الثاني: بهلاك قوم لوط.

وسياق الآيات في سورة الذاريات يبين أن المعنى المختار هو البشارة بالولد إسحاق، وفي سورة هود يتبين أن تبليغ البشارة بالولد كان لزوجة إبراهيم -عليهم السلام - بدلائل قوله تعالى: {وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ}، قال الإمام الرازي: وما ذاك إلا أنها فرحت بزوال ذلك الخوف عن إبراهيم -عليه السلام- حيث قالت الملائكة: { لَا تَخَفِ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ }.

(١) انظر: الدوغان، د. محمد بن أحمد، حكاية القول في القرآن الكريم، مجلة المشقر: النادي الأدبي بالأحساء، العدد الثاني-ربيع

فسياق الآيات الكريمة في الموضوعين يبين أن الحوار بين الملائكة وزوجة إبراهيم - عليهم السلام - بسبب البشارة بالولد الذي جاءت به الملائكة الكرام لإبراهيم وزوجه - عليهم السلام -، وهذا يحمل دلالة عظيمة على كرامة تلك المرأة العظيمة ومكانتها لدى ربها جل جلاله، فالحوار مع نبي الله إبراهيم - عليه السلام - له وظائف عدة من التبليغ لدين الله، ودعوة قومه إلى التوحيد، وغير ذلك من أعمال النبوة ومهماتهم.

لكن الملائكة الكرام حاورت سارة زوجة إبراهيم - عليهم السلام - بتلك البشارة الجميلة بوصفها زوجة مصونة كريمة، فوظيفة الأسرة هي تحقيق السكن بين الزوجين، والرحمة والمودة وإنجاب الأبناء^(١).

قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الروم: ٢١). فكان في تلك البشارة الكريمة تحقيق لهذه الوظيفة؛ لذا قال تعالى: {فَبَشَّرْنَاهَا} وزاد في تحقيق تلك الأمومة العجيبة بشارتها بأنها ستكون أما ثم جدة {فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمَنْ وَرَاءَ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ}، أي: بولد لها، يكون له ولد، وعقب، ونسل، فإن يعقوب ولد إسحاق^(٢).

فانطلقت المرأة الكريمة على سجيتها مع أولئك الضيوف الغرباء عند سماع البشارة لتتعجب من قولهم، مع النظر أنها لم تكذبهم أو تسخر منهم، وإنما علمت بعقلها الراجح وطول لبثها في بيت النبوة أن الله سيستجيب دعاءهم بحصول الولد. ومع سريان تلك الطبيعة الأنثوية بكل بساطة وهدوء مع أولئك الضيوف الغرباء،

(١) انظر: القوسي، د. مفرح بن سليمان، حقوق الإنسان في مجال الأسرة من منظور إسلامي، ص ٤٣.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، (٢٣٤/٤).

إلا أن سارة زوجة إبراهيم - عليهم السلام - استطاعت أن تبين موضع التعجب لديها بكلمات قلائل وأدلة ناصعة على غرابة هذه البشارة مع تصديقها الكامل بها. فاستجمعت قواها العقلية في تصديق هذا الخبر السار، وذكرت سبب تعجبها بقولها: {قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ}، وأوضحت في آية سورة الذاريات سبباً آخر: { وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ } . فهذه ثلاثة أسباب عقلية تزيد المرء عجباً من تحقق البشارة الكريمة المنتظرة:

١ . إنها عجوز كبيرة في السن .

٢ . إنها عقيمة لم تلد في يوم من الأيام .

٣ . إن زوجها شيخ كبيرٌ .

فهذه الأسباب أحدها يمنع من إنجاب الولد، فكيف إذا حصلت مجتمعة، وفي هذا دلالة على قوة الحجة اللازم توافرها في أثناء الحوار؛ لأن المقدمات الصحيحة تؤدي إلى نتائج صحيحة^(١)، فهي لم تتعجب عبثاً أو إنكاراً أو تكذيباً بقدره الله، حاشاها من ذلك، لكنها رأت بحكمتها أن هذه الأسباب المانعة كيف يمكن إزالتها، فاستغلت زمن الحوار القصير بينها وبين الملائكة لمداولة الرأي ونفي التعجب .

فرد عليها الملائكة الكرام: { قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } «أي: قالت الملائكة لها: ألا تعجبي من أمر الله؛ فإنه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، فلا تعجبي من هذا، وإن كنت عجوزاً كبيرة عقيماً، وبعلك وهو زوجها الخليل إبراهيم عليه السلام) وإن كان شيخاً كبيراً»^(٢) .

من أجل هذا ختم هذا الموقف الحوارى بدعاء كريم من الملائكة الكرام، يتردد صده إلى قيام الساعة مع كل مصلٍّ لله متوجه إليه، قال تعالى: {قَالُوا أَتَعْجَبِينَ

(١) انظر: الصقهان، عبدالله بن عمر، والشويعر، محمد بن عبدالله، قواعد ومبادئ الحوار الفعال، ص ٢٧ .

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٣٤/٤) .

مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةً لِلَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ}، وقد ثبت في الصحيحين عن كعب بن عجرة - رضي الله عنه - قيل يا رسول الله: أما السلام عليك، فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) (١).

قال ابن حجر- رحمه الله- في توجيه الحديث: «قال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء، وقال ابن عباس: يصلون، أي: يبركون، أي: يدعون له بالبركة،...، أما قوله: (كما صليت على آل إبراهيم، أي: تقدمت منك الصلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، فنسأل منك الصلاة على محمد وعلى آل محمد بطريق الأولى؛ لأن الذي يثبت للفاضل يثبت للأفضل بطريق الأولى» (٢).

فصلواته وسلامه وبركاته على آل إبراهيم، ومنهم تلك المرأة المحاوره الرائعة سارة، التي استطاعت بإيمانها الكبير وموفور عقلها الراجح أن تحاور الملائكة الكرام لترسم للمرأة الصالحة في كل زمان ومكان خطوات الحوار الناجح، بالالتزام بعدة أمور نستنبط منها:

- التصديق بأمر الله ومعجزاته البينة بالاستسلام والتسليم لها، ولو كان فيه ما لا يتفق مع ما قام بالعقل الصحيح أو بالعادة المستديمة؛ ذلك لأن المعجزة أمر خارق للعادة يؤتى به للأنبياء الكرام للتحدي.

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب (٢٣) سورة الأحزاب، ح(٤٧٩٧)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب (١٧) الصلاة على النبي

صلى الله عليه وسلم بعد التشهد، ح(٤٠٦)، وقد ثبتت روايات أخرى بصيغ متشابهة.

(٢) العسقلاني، أحمد علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٥٢٣/٨) (بتصرف).

- التقديم بالحجج الناصعة والبراهين الساطعة لنجاح الحوار، حتى لا يكون كلاماً فضفاضاً خالياً من الأدلة، فيسقط الحوار والمحاور.
- أن تعتاد المرأة على الحوار الهادئ بامتلاك السمات الشخصية والنفسية والأخلاقية لمبادئ الحوار وقواعده وآدابه.

أما موقف ذلك النبي الكريم خليل الله إبراهيم -عليه السلام-: {فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى}، فكان موقف الرجل المؤمن والزوج البار الذي يمتلك آلية الحوار، ويعرف مقومات الحوار الناجح، فترك زوجته المصونة تعبر عن رأيها، وتتعجب من قول الملائكة لها، فلم يصادر رأيها، ولم يقاطع كلامها، وإنما ترك لها إبداء حجتها؛ لأن الحمل سيقوم بها، وتلك البشارة الكريمة ستتهيئ في بطنها، وذلك الولد العليم سيغرف من حنان والدته ونبوة أبيه ليكون نبياً مخلصاً، فترك المجال رحباً للحوار بين ضيوفه الكرام من الملائكة الطاهرين وزوجته الكريمة؛ لتستقبل البشارة بنفسها، وتتهيأ لوضعها الجديد، فسلم لأمر ربه، واستسلم للبشرى الكريمة التي جاءت، يحملها وفد الرحمن من الملائكة الكرام، وهذا من أعظم الآداب في ترسيخ ثقافة الحوار.

فمن الأجدد بالمجتمع الإسلامي الذي يؤمن بإبراهيم -عليه السلام- الذي قال تعالى فيه: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} (آل عمران: ٦٨)؛ أن يفسح مجالات الحوار للمرأة في المجتمع المسلم، مما يعود بآثاره الطيبة على الأسرة والمجتمع بتفعيل دور المرأة والإفادة من نظرتها التفصيلية إلى الأمور، مع التأكيد على ضرورة رعاية الاحترام المتبادل بين طرفي الحوار، مهما بلغ الاختلاف في وجهات النظر، والعناية بالتدرج وحسن التفاوض ليحقق آداب الحوار الكريم^(١).

(١) انظر: المغامسي، خالد بن محمد، الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، ص ١٣٦ وما بعدها.

ثانياً : الحوار مع المرأة في قصة موسى عليه السلام

تعددت نماذج الحوار مع المرأة في قصة نبي الله وكليمه موسى - عليه السلام- ومع كثرة ورود قصة موسى في القرآن الكريم، وتناولها للجوانب الكثيرة والعظيمة في حياة موسى -عليه السلام-، نجد صورة المرأة الصالحة التي تمتلك مقومات الحوار الناجح، أنها صورة بارزة تحتاج إلى تدبر وتأمل؛ ذلك لأن حوارات المرأة في قصة موسى -عليه السلام- أدت إلى أثر كبير في حياة موسى -عليه السلام- منذ ولادته وحضائنه وتربيته وزواجه، فهذه الشخصيات الأنثوية المؤمنة الرائعة استطاعت -بفضل الله- أن تسهم في التأثير على مجريات قصة موسى - عليه السلام- كما ذكرها القرآن الكريم، وهذا يدل دلالة بالغة على مكانة المرأة الصالحة في نجاح الدعوة النبوية، ومن خلال القراءة المتأنية لقصة موسى - عليه السلام- في سورة القصص يتبين ذكر تلك النماذج الكريمة من الحوار مع المرأة، و نبدأ بالتفصيل فيما يأتي :

١- الحوار مع أم موسى عليه السلام :

قال تعالى : { وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ } (القصص: ٧) .

كان من قدر الله عز وجل الحكيم أن يولد موسى -عليه السلام- في زمن فرعون الطاغية، الذي كان يقتل الأولاد، ويكسر شوكة بني إسرائيل، الذين كانوا مستضعفين في مملكته الظالمة، فأراد الله - عزَّ وجلَّ - أن يمنَّ على أولئك الشعب من بني إسرائيل، فيرفع شأنهم، ويقيم العدل بينهم بنبي من قومهم، قال تعالى : { وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ } (القصص: ٥-٦) .

فأراد الله أمراً حكيماً، وإذا أراد الله شيئاً هياً له أسبابه، وسهل طريقه؛ لذا لما وُلد موسى بوصفه طفلاً طبيعياً كبقية أطفال بني إسرائيل في عهد فرعون الظالم، كانت النتيجة الحتمية الطبيعية له في ذلك الزمان هي القتل، فأراد الله له الحياة بأسباب عظيمة منها:

تعظيم منزلة تلك الأم الطاهرة التي تخاف على ولدها، فرفع منزلتها بوحي من الله: {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ}، واختلف العلماء في هذا الوحي الكريم الذي لم يتنزل على امرأة قط، فقيل في معناه: « هذا الوحي إلى أم موسى قالت فرقة: كان قولاً في منامها، وقال قتادة: كان إلهاماً، وقالت فرقة: كان بملك تمثل لها، وأجمع كلهم على أنها لم تكن نبية، وإنما إرسال الملك لها على نحو تكليم الملك للأبرص والأقرع والأعمى في الحديث المشهور، وغير ذلك مما روي من تكليم الملائكة الناس من غير نبوة»^(١).

ويظهر لي أن هذا القول الأخير هو أقرب الأقوال؛ ذلك لأن هذا الأمر الذي فعلته أم موسى لم يكن أمراً عادياً يمكن لتلك المرأة أن تنفذه بسبب رؤيا في منام، أو خاطر في القلب قذفه الله، وليست من الأنبياء، فتكون رؤياها حقاً، ولم يصح لها الوحي قبل هذا فيكون ما قذف في قلبها حقاً، فلا يعقل هذا الفعل منها، ما لم يكن يقينها بأن هذا الأمر والنهي والبشارة إنما هو وحي صادق من الله بوساطة أحد رسله الكرام، والله أعلم^(٢).

فوحي الله إلى أم موسى أيّاً كان نوعه، فهو منزلة رفيعة ومقام عظيم تلقته تلك الأم الحانية بالقبول والتسليم، فنفذت ما أوحى به إليها مع صعوبته على نفسها، ففي ظاهره هلاك وليدها، ولكنه الوحي الرباني الذي ربط على قلبها فنفذت ذلك

(١) ابن عطية، القاضي أبو محمد عبدالحق الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٦/٥٧٠).

(٢) اختار كثير من المفسرين معنى الوحي: القذف والإلهام، وتجاوز بعض المفسرين معنى الوحي بالنسبة إلى أم موسى، ومن خلال التأمل للتوضيح الشرعية لم أجد مانعاً يمنع من أن يكون الوحي لأم موسى بوساطة رسول أخبرها بهذا الوحي، فصدقته، وقامت به وهي متيقنة بأنه ليس من خواطرها أو إلهاماتها، وإنما هو الوحي الصادق من الله، والله أعلم.

الأمر الكريم: {أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}، قال الإمام الطبري: «إن الله تعالى ذكره أمر أم موسى أن ترضعه، فإذا خفت عليه من عدو الله فرعون وجنده أن تلقيه في اليم، وجائز أن تكون خافتهم عليه بعد أشهر من ولادتها إياه، وأي ذلك كان، فقد فعلت ما أوحى الله إليها فيه»^(١).

وقد أمرها الله جل جلاله قبل أن تلقيه في اليم أن ترضعه: {أَنْ أَرْضِعِيهِ} وفي ذلك فائدة جلييلة وهي مكانة الرضاعة في بناء العلاقة الحميمية بين الأم ورضيعها، وفائدة ذلك اللبن الممزوج بالحب والحنان، والذي يجري في عروق تلك الأم، ليتمتصه ذلك الرضيع حباً وشفقةً وبراً وإحساناً، ليكون ذلك الرضاع أعظم رابطة بشرية على مدى الدهور والأيام، وسبباً جازماً لتحقيق البشارة بعودة الرضيع إلى أمه كما سيأتي إن شاء الله.

فلله درُّ تلك الأم المكلومة بوليدها التي جاءها الوحي بما هو أشق عليها من القتل بين ناظريها، لكن الأمر الرباني اقترن بالنهي عن الخوف والحزن، {وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي}، وتضمن بشارتين عظيمتين: {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}.

«وهذا من أعظم البشائر الجلييلة، وتقديم هذه البشارة لأم موسى؛ ليطمئن قلبها، ويسكن روعها، فكانها خافت عليه، وفعلت ما أمرت به، فألقته في اليم»^(٢).

ومع أنه أمر رباني إلا أنه في سياق هذا الأمر عُلِّلَ بعدد من العلل، وهو الأمر بعدم الخوف والحزن والوعد بالإرجاع.

فهذا الوحي الرباني لأم موسى - عليه السلام - يتضمن شعاراً عظيماً بمكانة الأمومة الحنونة عند الله عز وجل.

وقد استسلمت تلك المرأة المؤمنة لوحى ربها بكل خضوع وخشوع، دون إبداء الأسباب أو مداولة الرأي، وهذه طبيعة الوحي الإلهي له حكمة عظيمة تخفي

(١) العسقلاني، أحمد علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٥٢٣/٨) (بتصرف).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٥٦١.

عن الموحى إليه، وكأني بتلك المرأة الصالحة تحاور نفسها في هذا الأمر، فتجد الطمأنينة والسكينة فيما تضمنه ذلك الوحي من الأمر والنهي واقتترانه بتلك البشارة الجميلة؛ مما جعل تلك المرأة رابطة الجأش، هادئة النفس وهي تضع وليدها الرضيع في تابوت مغلق ليجري في النهر كما يجري الزيد.

وهذا هو الواجب في التعامل مع الأوامر الربانية، فيجب على المرأة المسلمة أن تخضع لأمر ربها ووحيه، وأن تسارع للاستجابة الكريمة لهذه الأوامر، سواء أعلمت الحكمة أم لم تعلم.

فالوحي الرباني أمر ونهي، فلا يليق بأي امرئ أياً كان أن يناقش في أسباب هذا الأمر، أو في حكمة هذا الحكم، فعليه الاستسلام والتسليم والانقياد إلى هذا الأمر والنهي، كما انقادت تلك الأم الصالحة إلى أمر ربها ووحيه.

٢- الحوار مع حاضنة موسى - عليه السلام -: (امرأة فرعون رضي الله عنها).

كان من نعم الله العظيمة على موسى - عليه السلام - وهو طفل رضيع في صندوق محكم الإغلاق أن يجري به النهر كما أمره الله إلى بيت عدوه وعدو بني إسرائيل وعدو الله؛ فرعون، قال تعالى: { فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ } (القصص: ٨).

قال الإمام الطبري: اختلفوا في { آلُ فِرْعَوْنَ } من هم في هذا الموضع؟ على ثلاثة أقوال: «قال بعضهم: جوارى امرأة فرعون، وقال آخرون: عني به ابنة فرعون، وقال آخرون: عني به أعوان فرعون، ثم قال: ولا قول في ذلك عندنا أولى بالصواب»^(١).

ثم جاءت الحكمة البليغة والإيمان الساطع على لسان امرأة فرعون المؤمنة الصالحة التي امتدحها النبي صلى الله عليه وسلم بحسن عقلها وكمالها بين النساء، عن

أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كَمُلْ من الرجال كثيرٌ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)^(١).

فامرأة فرعون هي: «آسية بنت مزاحم قيل: إنها من بني إسرائيل، وإنها عمّة موسى، وقيل: إنها من العماليق، وقيل: ابنة عمّ فرعون»^(٢).

وما رجاحة عقلها وكمالها إلا بما جاء في القرآن الكريم من قولها في طلب حضانة موسى -عليه السلام- قال تعالى: { وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } (القصص: ٩).

فالخطاب القرآني فيه التفات من منظر الأعوان والجواري وهم يحملون التابوت، وفيه ذلك الرضيع الصغير، وبين أمر فرعون بالذباحين لقتل ذلك الغلام، ففي ذلك المنظر الرهيب والموقف الصعب كانت تلك المرأة الكاملة بين خيارين صعبين: فطرة الله التي خلق عليها تلك الأنثى الحنونة، وبين إرضاء ذلك الزوج الطاغية الجبار، فانطلقت تلك المرأة الصالحة على سجيبتها، لتعلق ذلك الموقف الصعب بأمر جازم في سياق لطيف: {قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ}، ثم ساق حجة عاطفية تدغدغ تلك النفس الشريرة: {عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا}.

فذلك الحوار اللطيف من امرأة فرعون لزوجها وأعوانه في ذلك الموقف الصعب، وحجتها اللطيفة، وعاطفتها الممزوجة بالإحسان إلى ذلك الطفل الصغير في قالب من التودد إلى زوجها: {عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا}.

وكذا اختيار التوقيت المناسب لذلك الحوار، وهو من لوازم نجاح الحوار، فلم تؤجل تلك المرأة العاقلة الحكيمة الحوار في شأن الغلام، فينتهي أمر الغلام سريعاً قبل كلامها، ولم تتلصق في طلبها بكلمات غير واضحة، بل هو الطلب الهادئ الحكيم المفعم بالحب والحنان، « فيدل الكلام على أن الذين انتشلوه جعلوه بين أيدي

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٢٢) قول الله تعالى: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ...» ح(٢٤١١).

(٢) العسقلاني، فتح الباري، (٤٤٦/٦).

فرعون وامرأته، فرقت له امرأة فرعون، وصرفت فرعون عن قتله، بعد أن همَّ به؛ لأنه علم أن الطفل ليس من أبناء القبط بلون جلوته وملامح وجهه، وعلم أنه لم يكن حملهُ النيل من مكان بعيد لظهوره أنه لم يطل مكث تابوته في الماء، ولا اضطرابه بكثرة التنقل، فعلم أن وقعه في التابوت لقصد إنجائه من الذبح، وكان ذلك وقت انتشاله من الماء وإخراجه من التابوت، وكانت امرأة فرعون امرأة ملهمة للخير، وقدر الله نجاة موسى بسببها»^(١).

فمما يدل على كمالها؛ حوارها الرائع مع زوجها القائم على الرضيع بالقتل، فكانت البداية في الحوار معه اختيار كلمة تثير مشاعر الطمأنينة والسرور:

{ وَقَالَتْ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ قُرَّةٌ عَيْنٍ لِي وَلَكَ }

وأخرج ابن جرير الطبري بسنده عن محمد بن قيس قال: « قالت امرأة فرعون: {قُرَّةٌ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} قال فرعون: قررة عين لك أمًا لي، فلا، ..، وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: لو أنه قال: وهو لي قررة عين إذن لآمن به، ولكنه أبي»^(٢).

ثم ينقطع ذلك الحوار بقناعة فرعون الجبار بترك موسى لتلك المرأة الصالحة قررة عين لها في الدنيا والآخرة.

وفي ذلك دلالة على أن الحوار الناجح من مقوماته الخطاب العاطفي الذي يستثير المشاعر الميتة، ويحرك النفوس الجامدة فتهب في شرايينها الحياة، فإن لم يكن ذلك، فالتفاوض يكون دائماً لمصلحة المحاور فقد قدمت تلك المرأة الصالحة في قولها: {قُرَّةٌ عَيْنٍ لِي وَلَكَ} وهي منفعة مشتركة وقريبة من كل نفس رحيمة، مع علمها بطغيانه وجبروته وشدة بطشه، ثم تقرب إليه بحاجتهما إلى النفع: {عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} مع رؤيتها أفعاله الظالمة بقتل الأبناء، وظلمه وجبروته بدعوى الألوهية الباطلة، فكم كانت تملك تلك المرأة الكاملة من الحكمة

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، (٧٧/٢٠).

(٢) الطبري، جامع البيان في تأويل أي القرآن، (٤١/٢٠) (بتصرف).

والإلهام وحسن الحوار .

وفي ذكر هذا النموذج الحوارى من امرأة فرعون مع زوجها الطاغية وحصولها على مبتغائها بحجتها اللطيفة وحوارها الناجح ليرسخ القرآن الكريم لقاعدة منهجية في تثقيف المجتمع، وبيان دور المرأة في تعزيز الأمن الاجتماعى بالحوار العاطفى الوجدانى للحصول على مبتغيات النفس مع احترام الآخرين وتلبية المنفعة لهم .
« فقدر الله تعالى أنه نفع امرأة فرعون التى قالت تلك المقالة، فإنه لما صار قره عين لها، وأحبته حباً شديداً، فلم يزل لها بمنزلة الولد الشفيق، حتى كبر، ونبأه الله وأرسله، بادرت إلى الإسلام والإيمان به، رضي الله عنها وأرضاها»^(١) .

فموقف امرأة فرعون - رضي الله عنها - تجلت فيه الحكمة الربانية من الاستسلام للغيب، « فمن الأهداف المهمة للحوار الإفادة بأصول العلم الصحيحة، وقيم الأخلاق العليا، فالعقل مهما بلغ من الذكاء فله قدراته المحدودة، التى لا تستوعب كل ما فى الكون، ولكنه يدرك آثارها عن طريق الاستسلام والتسليم لغيب الله»^(٢) .

وفى ذلك يمدح الله - جل جلاله - امرأة فرعون - رضي الله عنها - فى دعائها ومناجاتها رب العالمين بعد إيمانها بموسى - عليه السلام - ورسالته الحققة من عند رب العالمين، فاستحقت أن تكون مثلاً للذين آمنوا إلى قيام الساعة فى إيمانها وأدبها ومهارتها فى الحوار، قال تعالى: { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فَرَعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } (التحریم: ١١) .

فحق لها كمال العقل الأنثوى بأن اختارت حوار الكرم رب العالمين قبل جنات رب العالمين .

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٥٦٢ .

(٢) الطريفي، (أ.د.) عبد الله بن إبراهيم، الإسلام وحوار الحضارات، قراءة الحاضر واستشراف المستقبل، ص ٦٣ (بتصرف) .

٣ - الحوار مع أخت موسى عليه السلام .

يذكر القرآن الكريم في تمام قصة موسى الرضيع وهو صغير بعد التقاط آل فرعون له، ومكوثه في بيت فرعون، ليعود الكتاب المجيد إلى ذكر تلك الأم المكلومة بفقد وليدها، فيصوره القرآن الكريم في أسلوب بياني رائع، قال تعالى: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ، وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ، فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (القصص: ١٠-١٣).

ففي هذه الآيات تكتمل صورة الأسرة الكريمة؛ فالأم قد أصبحت صباحاً مختلفاً، فقلبه لا يليو على شيء، فهو فارغ إلا من ذكر وليدها المفقود، فلا يوارى جسد رضيعها إلا ذلك التابوت، وأخت صابرة على لأواء ألم الفقدان والحنين إلى أخ صغير، ورضيع لا يعلم من الدنيا إلا رشفة من ثدي حنون شفيق، فطلبت الأم من تلك الأخت أن تقص آثار ذلك التابوت السابح في النيل لعل تابوت ذلك الرضيع ينجلي عن خبر عظيم .

فقامت تلك الأخت المباركة بتتبع آثار ذلك التابوت، وعلمت أنه قد وصل إلى قصر فرعون الجبار، ويأتي الخبر كالصاعقة، كيف ينجو وقد وقع في براثن ذلك الظالم العنيد، لكن الأمر الإلهي طمأن قلب الأم، وساند قلب تلك الأخت برياطة جأش عجيبة: { فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } .

فهذه مقدمة باهرة قامت بها تلك الأخت الأمانة بمرورها على الرضيع بكل حذر: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ} (القصص: ١٢).

فجمعت في هذه الآية أصول المناظرة بين أخت موسى وأعوان فرعون، وقد استعملت الحوار بأسلوب الاستفهام وأثره في نفس المخاطب، خصوصاً إذا كان المخاطب من عليّة القوم كأعوان فرعون، فاستفادت من تلك المقدمة العظيمة في نجاة موسى - عليه السلام -، وهو تحريم إرضاعه من غير أمه الكريمة، فاستعملت أسلوب تقريب دعواها بالاستفهام وبيان علة دعواها: {وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ}، وتضمنت نتيجة المناظرة الرائعة؛ وهي الإفحام لهؤلاء الخصوم القتلة، والإلزام لهم بالمشي معها، لقبول دعوتها^(١).

{فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}، أي: آل فرعون حين التقطوه لا يشعرون، بأن أخته تراقب أحواله، وذلك من حذق أخته في كيفية مراقبته^(٢).

ثم تكلمت بكلمات قلائل في حوار من طرف واحد، فكان فيه تحقيق البشري الأولى، قال تعالى: {فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ}.

فكان تلك الثلة من القائمين على قصر فرعون وبين أيديهم ذلك الرضيع الصارخ قد توالى أسئلتهم ودهشتهم وعجبهم من حوار تلك الفتاة الواثقة.

« ففي قوله تبارك وتعالى: {وَحَرِّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ} يقتضي أن الله تعالى خصه بالامتناع عن ثدي النساء بما يشذ به عن عرف الأطفال، وهو تحريم تبغيض، {يَكْفُلُونَهُ} معناه: يحسنون تربيته وإرضاعه، وعلم القوم أن مكلمتهم من بني إسرائيل، وكان ذلك عرف بني إسرائيل أن يكونوا مراضع وخداماً، {وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ} يحتمل أن الضمير يعود على الطفل، فقالوا لها: إنك قد عرفتيه فأخبرينا من هو؟ فقالت: ما أردت إلا أنهم ناصحون للملك، فتخلصت منهم بهذا التأويل، وقال القاضي أبو محمد - رحمه الله - : ويحتمل أن يعود الضمير على الطفل، ولكن يكون النصح له بسبب الملك، وحرصاً على التزلف إليه

(١) انظر: جريشة، د. علي، آداب الحوار والمناظرة، ص ٧٤-٧٥.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٨٣/٢٠).

والقرب منه، وفي الكلام هنا حذف يقتضيه الظاهر، وهو أنها حملتهم إلى أم موسى وكلموها في ذلك، فدرت عليه وقبلها، وحظيت بذلك، وأحسن إليها، وإلى أهل بيتها، وقرت عينها، أي: سرت بذلك»^(١).

وفي مقولة الأخت: { هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ } فيه تصوير رائع لذلك الموقف الذي اجتمع فيه آل فرعون يبحثون عن مرضعة فقط لهذا الرضيع الصغير، فتأتي تلك الأخت على غير موعد، فتخبرهم بمفاجأة سارة للجميع فقالت: { هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ }، وكذا في سورة طه: { فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ }؛ وفي ذلك فائدة عظيمة وهي: «إنها عرضت سعيها في ذلك بطريق الاستفهام المستعمل في العرض؛ تلطفاً مع آل فرعون، وإبعاداً للظنة عن نفسها، ومعنى: { يَكْفُلُونَهُ } : يتعهدون بحفظه وإرضاعه، فيدل هذا على أن عاداتهم في الإرضاع أن يسلم الطفل الرضيع إلى المرأة التي ترضعه، يكون عندها كما كانت عادة العرب؛ لأن النساء الحرائر لم يكن يرضين بترك بيوتهن، والانتقال إلى بيوت آل الأطفال الرضعاء، كما جاء في خبر إرضاع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند حليلة السعدية»^(٢).

فذلك الحوار العقلاني الرائع من تلك الأخت العظيمة كان سبباً لنجاة موسى وعودته إلى أمه تصديقاً لوعده الله، قال تعالى: { فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } (القصص: ١٣) .

« فإن أفضل الخطابات التي توجه إلى الإنسان هي التي تخاطب عقله ووجدانه، وهذا الأمر موجود في الحوار القرآني، فهو يخاطب العقل والوجدان، فتجد فيه الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معاً، وعلى مستوى واحد»^(٣).

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز، (٥٧٦/٦).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٨٤/٢٠) (بتصرف) .

(٣) حسن، عثمان، منهج الجدل والمناظرة، (٣٧٨/١)، نقلاً عن: المغامسي، الحوار آدابه وتطبيقاته، ص ٨٣ .

والتأمل لقصة موسى - عليه السلام - يرى أن القرآن الكريم جعل موسى قرّة عين لمرأتين: الأولى: أمه الحنونة التي قامت بذلك الفعل العجيب تصديقاً لوحي ربها، واستسلاماً لوعده الحق، فهو قرّة عينها.

والثانية: حاضنته التي جابهت أعتى طاغية في الأرض، فكان حقيقاً أن يكون قرّة عين لها، قال تعالى: {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} (طه: ٣٩).

فهذا الحوار الأسري المتميز من تلك الأخت الكريمة في الحفاظ على سر ذلك الطفل الرضيع يشي بقوة الحوار في مواجهة الأحداث الكبيرة، والأسس التي يقوم عليها الحوار، لكي يأتي بثماره، ويحقق أهدافه، فكان لحسن استعمال الأسلوب المناسب في هذا الموضوع، واختيار الألفاظ الجامعة، دلالة أكيدة على نجاح مقصد الحوار في قصة موسى - عليه السلام -، وكأننا بتلك الأم الصابرة تفر عينها بعودة طفلها الصغير بقدره الله - عزّ وجلّ - ومحاطاً بكرامة من حاضنته الكريمة امرأة فرعون.

٤- الحوار مع زوجة موسى عليه السلام.

قال تعالى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} (القصص: ٢٤).

يتحدث القرآن الكريم عن موقف غريب وجديد في ثنايا رحلة موسى - عليه السلام - للخروج من مصر والهروب من فرعون الظالم الذي أراد قتله بعد أن صار شاباً يافعاً.

فحديث القرآن الكريم عن امرأتين صادفهما موسى - عليه السلام - في رحلته المباركة، وهنا تظهر شجاعة موسى - عليه السلام - وشهامته في الحوار مع تلك المرأتين الغريبتين بكل هدوء وأناة: {قَالَ مَا خَطْبُكُمَا}، فهو رأى امرأاً

غريباً يثير التساؤل من عزلة تلك المرأتين عن سقي الماء مع حاجتهما إليه وقربهما منه، ليأتيه الجواب الجميل والسبب الكريم: { قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ }، في حوار رائع مع رجل غريب، لكن تأتي الكلمات مسجاة بنور الحياء والاعتذار الهادئ، « فأجابتا بأنهما كرهتا أن تسقيا في حين اكتظاظ المكان بالرعاء، أي: أنهما تستمران على عدم السقي كما اقتضى التعبير بالمضارع إلى أن ينصرف الرعاء، والرعاء: جمع راع، والإصدار: الإرجاع عن السقي، أي: حتى يسقي الرعاء ويصدروا مواشيهم، فلا يبقى الزحام، وصددهما عن المزاحمة عادتهما؛ لأنهما كانتا ذواتي مروءة وتربية زكية، وكان قولهما: { وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ } اعتذاراً عن حضورهما للسقي مع الرجال؛ لعدم وجدانهما رجلاً يستقي لهما؛ لأن الرجل الوحيد لهما هو أبوهما، وهو شيخ كبير، لا يستطيع ورود الماء لضعفه عن المزاحمة»^(١).

ثم ينتقل القرآن الكريم ليكمل ذلك الحوار اللطيف قال تعالى: { فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا } (القصص: ٢٥).

وفي هذا الموضع من الحوار يثير الإمام الرازي - رحمه الله - تساؤلاً لطيفاً وهو: « كيف ساغ لموسى - عليه السلام - أن يعمل بقول امرأة أو يمشي معها وهي أجنبية، فإن ذلك يورث التهمة العظيمة؟ ثم أجاب: إن العمل بقول امرأة جائز، فكما نعمل بقول الواحد حراً كان أو عبداً، ذكراً كان أو أنثى في الأخبار، وما كانت إلا مخبرة عن أبيها، وأما المشي مع المرأة، فلا بأس به مع الاحتياط والتورع»^(٢).

فقوله تعالى: { تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ } يحمل دلالة عظيمة على الحياء الذي بلغ بتلك المرأة الطاهرة فكأنما أصبح الحياء أرضاً لها تمشي عليه، وهذا هو الأجدر

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٠٠/٢٠) (بتصرف).

(٢) الرازي، التفسير الكبير، (٢٠٦/٢٤) (بتصرف)..

بالمرأة الصالحة لتعرف بتقواها وعفتها، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً } (الأحزاب: ٥٩) .

فإنه ما أجمل تلك الخطوات الرزينة من تلك الفتاة الطاهرة التي اختمرت بالحياء، فنالت منه السكينة والوقار في مشيتها، والحكمة في منطوقها .

فلينظر القارئ الكريم إلى منظومة الحياء وكمال صفاتها، ومن اتصف بها فقد استكمل خلقه، ولان جانبه، وحلت السكينة في أقواله وأعماله، وتحلت مشيته بالوقار والرزانة، حتى يعرف به ويذكر عنه: { تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ }، فوصف الله الكريم مشية تلك الفتاة بالحياء الكامل دلالة على وصفها بالحكمة والسكينة في منطوقها وأعمالها .

من أجل هذا امتدحت عائشة - رضي الله عنها - في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم نساء الأنصار فقالت: (نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ)^(١) .

ثم يستمر السياق القرآني في عرض ذلك الحوار العظيم الذي نالت المرأة الحكيمة منه الجانب الأكبر، قال تعالى: { فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ } (القصص: ٢٥-٢٦) .

فلم تتلكأ تلك الفتاة المؤمنة الطاهرة الحبيبة في عرض كريم على أبيها بأن يستأجره، والإجارة عقد منفعة بين طرفين، فأرادت أن تنتفع من هذا الشاب ليتحمل عنهما بعض الواجبات الثقيلة عليهما، واختارته لما يتصف به من القوة والأمانة .

قال الإمام الطبري - رحمه الله - في تفسير ذلك الحوار العظيم وتوضيح جوانبه: « عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: { قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحيض، باب (استحباب استعمال المفتلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم) ح (٢٢٢) مختصراً.

مَنْ اسْتَأْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ { قال: فأحفظته الغيرة أن قال: وما يدريك ما قوته وأمانته؟ قالت: أما قوته: فما رأيت منه حين سقى لنا، لم أر رجلاً قطُّ أقوى في ذلك السقي منه، أما أمانته: فإنه نظر حين أقبلت عليه وشخصت له، فلما علم أنني امرأة صوّب رأسه فلم يرفعه، ولم ينظر إلي حين بلغته رسالتك، ثم قال: امشي خلفي، وانعتي لي الطريق، ولم يفعل ذلك إلا وهو أمين، فسري عن أبيها، وصدقها، وظن به الذي قالت»^(١).

فالتربية الإيمانية لتلك المرأة جعلت منها محاوراً بارعة في إصدار الحجج العقلية والدلائل النفسية؛ مما جعل من نتائج حوارها الأول مع موسى -عليه السلام- أن قام بالسقي لهما مباشرة دون تردد أو خوف، وهو شريد طريد -عليه السلام-، ثم حوارها في المرة الثانية مع موسى -عليه السلام- وهي تدعوه إلى أبيها يجللها الحياء والرزانة والسكينة والحكمة الكاملة، فأجاب طلبها، واستجاب لدعوتها، وحضر عند أبيها دون خوف أو تردد، ثم هي في المرة الثالثة تتحاور أباهما بحجة كاشفة، وصراحة ناصعة بحاجة بيتهم إلى فتى في مثل صفات موسى -عليه السلام- واختارت خير صفتين لمن يعمل، وهما: القوة والأمانة، فأبي حكمة أهداها المولى إلى تلك المرأة لتتحوّل حواراً رائعاً كان من نتائجه الكريمة ارتباطها بذلك الفتى زوجاً كريماً، وليسري كلامها حكمة بالغة إلى قيام الساعة في علم الشريعة وعلم الإدارة والاقتصاد والعلوم الاجتماعية^(٢).

« وفيه جواز عرض الرجل مولاته على من يتزوجها رغبة في صلاحه، وجعل لموسى اختيار إحداهما، وإنما اختار موسى تلك الفتاة دون أختها؛ لأنه عرفها، فاختار تلك المرأة الحية الكريمة، لما عرف من أخلاقها باستحيائها وكلامها، فكان ذلك ترجيحاً لها عنده»^(٣).

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٧٥/٢٠).

(٢) انظر: الحسين، د. عبد اللطيف بن إبراهيم، الأمانة في الإسلام وأثارها في المجتمع، ص ٥٧.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٠٦/٢٠) (بتصرف).

من أجل هذا كان حوارها الجميل وإبانتهأ لحياتها وخلقها الدليل الناصع على كمال إيمانها، وحسن تربيتها، فاستحقت بذلك أن تنال ذلك الشرف العظيم، فترف زوجاً مصونة إلى ذلك الفتى القوي الأمين، الذي سيكون نبي بني إسرائيل، وكليم الرحمن العليم .

فلما قضى موسى مهر تلك الفتاة الكريمة، بانقضاء خير الأجلين مع أبيها، رجع موسى إلى قومه، وفي طريق السفر الطويل من مدين إلى مصر يحلو الحوار، فكيف إذا كان الطريق شاقاً ومظلماً وبارداً، قال تعالى : { فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ } (القصص: ٢٩) .

فلو لم تكن تلك المرأة الكريمة عاقلة ومؤهلة لاستقبال حوار موسى - عليه السلام لما أخبرها موسى بحاجتهم إلى تلك النار المضطربة في جانب الوادي بذلك الأسلوب البياني الرائع .

وفي هذا الموقف فائدة عظيمة عن دور الحوار في بث المؤانسة بين الزوجين، وتلطيف المشاعر في أثناء الشدائد بيث الهدوء والسكينة في نفس الزوجين مما يشعر بالحب، والقدرة على الثبات والتحمل والصبر يقوي الرابطة الزوجية، ويعمق في نفسيهما الاحترام والحب بالمعاشرة بالمعروف^(١) .

لتحصل المفاجأة العظمى والمعجزة الكبرى بتكليم رب العالمين لموسى - عليه السلام - ، وتكليفه بحمل الرسالة والنبوة لبني إسرائيل .

وفي ذلك درس عظيم للنساء على مرور الأزمان وتغير الأماكن والأحوال، بأن المرأة المحاورة مؤهلة للفوز والنجاح، مع الاحتفاظ بالعفاف الأصيل؛ لئلا يفهم بعض الناس أن من لوازم الحوار التبرج والخناعة وخلع الحياء، فهذه الصورة من الحوار تبرز نموذج العفاف من جانبي الحوار لدى موسى - عليه السلام - وهو شاب

(١) انظر: أبو غدة (أ.د.) حسن بن عبد الغني، الإسلام وبناء المجتمع، ص ٤٥ .

غريب طريد، وابنة الرجل الصالح التي تربت على الصلاح والحياء، ليجل تلك الصورة الكريمة ذلك الشيخ الصالح بعقد النكاح بين الشابين العفيفين في أجمل صورة بشرية للأسرة العفيفة الطاهرة.

أما المرأة الحكيمة إذا امتلكت أدوات الحوار الصحيحة من حسن التعبير، وقوة الحجة، والثقة بالنفس؛ فهذا من لوازم نجاح الأسرة والمجتمع.

فهذه الآيات الكريمة تبين أن بناء الأسرة على أساس الحوار يعود على الأسرة والمجتمع بالخير الكثير والاستقرار والنماء، وأولى المرأة الصالحة أن تتخذ الحوار منهجاً في جميع مجالات الحياة؛ في الحياة الزوجية، وفي التربية، وفي كشف الحقائق العملية، وفي المؤانسة والتودد، لما وهب الله المرأة من مهارات جميلة تتمثل في الحس الأنثوي المرفه، والمشاعر الفياضة، والطلاقة التعبيرية، والقدرة الحدسية، وحب التفصيل لما أجمل من الكلام، فإذا سخرت المرأة الحوار منهجاً فيما يخدم حاجياتها ويحقق مصالحها سيؤول بالخير الكثير على الفرد والأسرة والمجتمع.

وبهذا تكتمل في قصة موسى -عليه السلام- جوانب الحوار الأسري الناجح من حوار الأم الحنون الشغوفة برضيعها، وحوار الحاضنة الكريمة صاحبة القلب الكبير والعقل الوفير، فلا يحسن التربية إلا من اتصفت بالعقل والسادات، وتلك الأخت الوفية التي حفظت سر أخيها على صغر سنها، وقامت بالمهمة العظمى والبشارة المثلى بالإخبار عمن يكون له أهل بيت يكفلونه وينصحون له، وتلك المرأة الحية الكريمة التي خاضت حوارات متعددة لتحظى بزواج كريم ونبي عظيم.

فأي قارئ لتلك الآيات القرآنية الكريمة يدرك مدى اهتمام القرآن الكريم بالحوار في الأسرة، وأهمية الحوار في بناء الأسرة واستقرارها ونجاحها في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: الحوار مع ملكة سبأ في قصة سليمان عليه السلام

يعرض القرآن الكريم صورة جديدة من نماذج الحوار الناجح، في صورة نادرة وهي صورة الملكة العظيمة التي تربعت على عرش البلاد، فحكمت العباد بالقسط والحق، لكن مهما بلغ الإنسان من عقل وذكاء، لن يهتدي إلى الحق إلا بالبينات التي يرسلها الله مع رسله، وينزلها في كتبه، من أجل هذا لم تتمكن تلك الملكة الذكية من معرفة دين الله الواحد الحق، فمع بلوغها الحكمة والعدل في الملك، إلا أنها لم تدرك عبادة الله وتوحيده، وإفراده بالعبودية الحقة، لما حصل لها من موروثات بيئية فاسدة تعاضمت على مر الأزمان، فسجدت هي وقومها للشمس، قال تعالى: {وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ} (النمل: ٤٣).

وقد عرّض القرآن الكريم التمهيد لقصة بلقيس، وحوارها الناجح مع قومها، بحوار عجيب وإعجاز عظيم وهو حوار الهدهد مع سليمان عليه السلام.

قال تعالى: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ، لِأَعَذَّبْتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَذُبْحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ، فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ حُطُّ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ} (النمل: ٢٠-٢٣).

ثم التفت القرآن الكريم إلى حوار الملكة مع قومها فيما حصل لهم من أمر مهم، قال تعالى: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ} (النمل: ٢٩)

عن وهب بن منبه قال: « كتب يعني سليمان بن داود مع الهدهد: بسم الله الرحمن الرحيم، من سليمان بن داود إلى بلقيس بنت ذي سرح وقومها، أما بعد: فلا تعلقوا عليّ وأتوني مسلمين، قال: فأخذ الهدهد الكتاب برجله، فانطلق به حتى أتاها، ...، فوقع عليها في مكانها الذي هي فيه، فأخذته»^(١).

وفي وصفها للكتاب بالكريم دلالة على أدبها وحسن معرفتها بكتب الملوك ومقامات الناس العظمى، وهذه البداية للحوار مع قومها يؤنس بأهمية هذا الكتاب، وضرورة الاجتماع لتحديد الموقف منه، فاختصرت ذلك الحوار في تلك اللفتة العجيبة من القرآن الكريم لدعوتها قومها واجتماعهم لتداول هذا الأمر المهم، قال تعالى: { قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ } وقد هداها عقلها الكريم إلى اتخاذ الشورى منهجاً في ملكها، وقاعدة راسخة للأخذ بزمام المملكة من كل فتنة، وهكذا في هذه الحالة العجيبة من مضمون كتاب سليمان - عليه السلام - ، قال تعالى: { إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ } (النمل: ٣٠)، انتهت من قراءة الكتاب، والتفتت إلى قومها في حوار صريح وهادئ ينبئ عن رزانة عقل واستقرار ملك، قال تعالى: { أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ } (النمل: ٣١).

«الفَتوى هي الجواب في الحادثة، اشتقت على طريق الاستعارة من الفتى في السن، أي: أجبوني في الأمر الفتى، وقصدت بالانقطاع إليهم، واستطلاع رأيهم تطيب قلوبهم»^(١).

فابتدأت أولاً بقراءة مضمون الكتاب الكريم، ومن عادة الأنبياء - عليهم السلام - الكتابة بالجملة؛ لبيان المقصود دون التطويل والإسهاب. فقرأته على قومها، ثم انتظرت منهم الرد والإجابة، وهذه هي لغة الحوار العقلي المنطقي، فكأنما تأخروا في إجابتها، فبينت لهم أنها لن تتصرف في أي أمر حتى يشهدوا له بالصحة والسلامة، وفي قولها: { مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا } تأييدها مبدأ الحوار والمشاورة، وإنها ستنتظر جوابهم مهما طال بهم الحوار، فأتاها الجواب حازماً: { قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ } (النمل: ٣٣).

«المراد: قوة الأجسام وقوة الآلات، والمراد بالبأس النجدة والثبات في الحرب،

وحاصل الجواب: إن القوم ذكروا أمرين: أحدهما: إظهار القوة الذاتية والعرضية، ليظهروا أنها إن أرادتهم للدفاع والحرب وجدتهم بحيث تريد، والآخر قولهم: {وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ} وفي ذلك إظهار الطاعة إن أرادت السلم، ولا يمكن ذكر جواب أحسن من هذا، والله أعلم^(١).

فانطلقت تلك الملكة العاقلة في بيان اختيارها الموافق للعقل الراجح والمنطق السليم، والذي وافقها عليه الشارع الحكيم، قال تعالى: {إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} (النمل: ٣٤).

« رأَت الملكة بلقيس في كلام وزرائها ورجالها ميلاً إلى الحرب والقتال، فاعترضت على طريقتهم في معالجة هذا الأمر، فخطأت رأيهم فيه، ومالت إلى الصلح فإن فيه خيراً، وإن على الإنسان الحكيم أن يواجه هذه الأمور بالحكمة والفتنة، ففي ذلك خير وأمان، وقالت لهم: إن الملوك إذا فتحوا قرية ودخلوها بالقوة والقهر، نشروا فيها الخراب، وأبادوا حرثها وزرعها وحضارتها، وجعلوا أشرفها وأعزتها أذلة، وتحكموا في رقاب الناس، وتمادوا في الظلم والاستبداد، ذلك شأنهم ومنهجهم على مر الأيام^(٢)».

فهذه المرأة الملكة كانت عارفة بأدبيات الحرب، وملمة بأفعال الملوك في القرى، وصاغت ذلك في أسلوب حوار عقلاني، تمكنت به من اختيار الرأي السديد، الذي هداها الله تعالى إليه، فكان فيه نجاتها ونجاة قومها في الدنيا والآخرة.

من أجل هذا يشير القرآن الكريم إلى دور المرأة في تعزيز الأمن الفكري والسياسي، والإسهام في المحافظة على ثوابت المجتمع وقيمه ومكتسباته الحضارية، وهذا للأسف لم يتطرق إليه باحثو الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، وذلك بالنظر إلى ما وهب الله تعالى المرأة من ملكات ومواهب ومهارات عظيمة قادرة على بناء مجتمع صالح وتقويمه.

(١) الرازي، التفسير الكبير، (١٦٧/٢٤).

(٢) الهاشمي، عبد المنعم، قصص النساء في القرآن، ص ١٢٨.

من أجل هذا انتقلت تلك الملكة العظيمة مباشرة إلى الفعل، الذي يناسب رأيها وحكمتها، وهذا من طبائع المرأة الجبلية وهي تحمل أعباء الرأي بالمضي في الفعل^(١)، قال تعالى:

{وَأَنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} (النمل: ٣٥).

وأرادت تلك المرأة الحصيصة اختبار الملك سليمان ونظرته إلى الدنيا، واختارت هدية مناسبة للملوك، فهل تخدعه الهدية، وتتبدل فكرته عن الحرب؟ واختارت مجموعة من عقلاء قومها ليكونوا رسلاً عنها.

وفي حوارها تبرز خاصية التحري والتثبت، والتي يتمكن بها المحاور الناجح من الظفر بمقصوده، فلم تأخذها العجلة والفخر برؤية عدة قومها من الجنود والآلات في عدم احتساب النتائج الخطيرة لأي رأي، قد يكون غير مدروس.

فقوله تعالى: {وَأَنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ} «يعني إلى سليمان وقومه، أصانعه بها على ملكي، وأختبره بها، أملك هو أم نبي؟ فإن كان ملكاً قبل الهدية ورجع، وإن كان نبياً لم يقبل المال عوضاً عن الدعوة إلى الإسلام، فلن يرضى هذا الملك منا إلا أن نتبعه في دينه، وهو قوله: {فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبينة عاقلة قد ساست الأمور، وجربتها»^(٢).

من أجل هذا يتبين أن من أساسيات الحوار الناجح الأناة والتأني في إصدار الأحكام، وعدم نبذ حجج الآخرين وأدلتهم، والموازنة في الكلام بين الإيجابيات والسلبيات، وكان في إرسال الهدية في ثنايا التحوار، سواء بالكلمة الطيبة، أو بالهدية العينية حكمة عظيمة في التودد ونشر المحبة والإخاء، وفي ذلك رسالة بليغة للسلام دون الحاجة إلى الحروب والتطاحن، وهذا ما قامت به تلك الملكة الحكيمة، التي فاقت في عقلها وحكمتها جموع الرجال الذين اعتادوا على لباس الحرب، وإعداد آلاته لمواجهة النبي الكريم وجنوده من الجن والإنس والطير وجموع المخلوقات، دون أن

(١) انظر: العقاد، عباس محمود، المرأة في القرآن الكريم، ص ٣٥ وما بعدها.

(٢) الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، لباب التأويل في معاني التنزيل، (٥٤٢/٣).

يستخبروا الخبر ويداولوا الحوار بحكمة وأناة، فأظهروا استعدادهم لخوض الحروب دون الحوار، مع أن الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق المبين.

فهل أتت الهدية بمقصود المرأة العظيمة؟ قال تعالى عن موقف سليمان -عليه السلام- من هدية بلقيس: { فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ، اِرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِنُجُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ } .

فموقف سليمان -عليه السلام- النبي الكريم استنكر إرسال هدية من مال عظيم، فهل هي مراوغة ماكرة من تلك المرأة لترك سليمان - عليه السلام - أولئك القوم على كفرهم بالله، وهذا لا يليق بمقام النبوة العظيم.

قال ابن كثير - رحمه الله -: «والظاهر أن سليمان - عليه السلام - لم ينظر إلى ما جاؤوا به بالكلية، ولا اعتنى به، بل أعرض عنه، وقال منكرًا عليهم: { أَتُمِدُّونِي بِمَالٍ } أي: أتصنعونني بمال، لأترككم على شرككم وملكمكم: { فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ } أي: الذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه: { بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ } أي: أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام والسيف»^(١).

وفي هذا الموقف تحقق حدس تلك الملكة العظيمة عندما قالت: { فَتَنَّاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ }؛ وذلك لأن الإنظار دلالة على مزيد من العقل والأناة قبل استعجال الأمور، فلما عاد إليها رسل قومها، أدركت بثاقب نظرتها وحسن عقلها، أن الاستكبار لا ينفع مع هذا الملك العظيم، فاختارت الاستسلام والانقياد مع قومها لسليمان - عليه السلام - لتدخل في دينه وملكه طائعين مسلمين.

وحدثت مفاجأة عجيبة عند مقدم تلك الملكة العظيمة خاضعة طائعة في قصر سليمان - عليه السلام - قال تعالى: { قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ

مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ، فَلَمَّا جَاءَتْ قَيْلٌ أَهَكَذَا عَرْشِكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ { (النمل: ٤٢) .

{ فَلَمَّا جَاءَتْ قَيْلٌ أَهَكَذَا عَرْشِكَ } «أي: عرض عليها عرشها، وقد غير ونكر، وزيد فيه ونقص منه، فكان فيها ثبات وعقل، ولها لب ودهاء وحزم، فلم تقدم على أنه هو لبعده مسافته عنها، ولا أنه غيره، لما رأته من آثاره وصفاته، وإن غير وبدل ونكر: { قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ }، أي: يشبهه ويقاربه، وهذا غاية في الذكاء والحزم»^(١).

ففي هذه المحاوره بين تلك الملكة المسلوبه وذلك الملك النبي العظيم تخفيف لمصابها، وتسليه عما ألم بها من خضوع وذلة، فأراد سليمان - عليه السلام - أن يختبر قوة ذكائها، ودقة ملاحظتها بنقل عرشها إلى قصره، فلما سألها عنه: { قَيْلٌ أَهَكَذَا عَرْشِكَ }، فأتاه الرد الجميل، والذي يبين عن ذكائها في استعمال أدوات الحوار العقلية: { قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ } فلم تستيقن فذكرته على سبيل التشبيه. قال الإمام الخازن - رحمه الله - « قيل: إنها عرفت، ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها، وقيل: إنها كانت حكيمة لم تقل: نعم، خوفاً من الكذب، ولا قالت: لا، خوفاً من التكذيب أيضاً، فقالت: كأنه هو، فعرف سليمان كمال عقلها بحيث لم تقر، ولم تنكر»^(٢).

قال تعالى: { قَيْلٌ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (النمل: ٤٤) .

«الصرح هو: القصر وكل بناء مرتفع،.. والغرض أن سليمان - عليه السلام - اتخذ قصرًا عظيمًا منيفاً من زجاج لهذه الملكة، ليربها عظمة سلطانه وتمكنه، فلما رأت ما أتاه الله تعالى، وجلالة ما هو فيه، وتبصرت في أمره، انقادت لأمر

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦/١٩٤) .

(٢) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (٣/٣٤٨) .

الله، وعرفت أنه نبي كريم، وملك عظيم، فأسلمت لله عز وجل، وقالت: {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي}، أي: بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها للشمس من دون الله، {وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، أي: متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده لا شريك له، الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً»^(١).

فهذه النتيجة الرائعة من الإتيان بلقيس وقومها وإسلامهم ونبذهم الشرك، وعبادة الشمس من دون الله، إنما كان بفضل من الله بإرسال سليمان - عليه السلام - لتبليغ دعوة الله، ثم بفضل تلك المرأة الملكة العاقلة التي استطاعت بالحوار أن تنجو بقومها من ذل الشرك والإفساد والذلة والصغار، ويتبين من ذكر القرآن الكريم حوار بلقيس مع قومها المدح والثناء على تلك الصورة الفريدة لأهمية الشورى في استقرار الملك، والقدرة على التأثير على الآخرين باستعمال الحوار الذكي، وتسخير أدوات العقل الراجح في خدمة أهداف الحوار، فقد حصلت الاستجابة الجماعية من أولئك القوم الأشداء ليس بسبب الضعف المادي أو قلة العدد، بل الانقياد إلى قوة عقل تلك الملكة ونصاعة حجتها، فلم يرد أحد منهم حكمها، ولا رأيها بالذهاب مستسلمين، ليدخلوا في دين سليمان وملكه فكان في ذلك الخير الكثير لهم.

ويتبين من حوار بلقيس مع سليمان - عليه السلام - أهمية بناء قيمة الحرية في نفس المرأة، وقد ظهر باستعمال بلقيس أدوات الحوار المادية والمعنوية، التي ترسم صورة المرأة العاقلة اللببية، إذا سددت بهدي من نور الله، وأثارة من عقل نافذ، وشعاع من بصيرة وحكمة، لينفذ نور حكمتها في كل ما تتخذه من قرارات.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١٩٧/٦) (بتصرف).

لذا تتضح أهمية مشاركة المرأة المسلمة العاقلة الحكيمة في مناقش الحوار في المجتمع، لتداول ما يهمه من الأمور، وتقرير ما يناسبها من علوم وأدوات لتسهم إسهاماً صحيحاً في ازدهار المجتمع وتقدمه^(١).

فالسبيل الوحيد لتنال المرأة الحرية الحقيقية هي في أتباع أحكام الشريعة الإسلامية، التي تبني في المرأة الشخصية المستقلة، وتحفز فيها تنمية المواطنة المتميزة. من أجل هذا فقد كلفها الله تعالى بتكاليف خاصة مناسبة لأنوثتها حفاظاً على فطرتها، وجعل الحرية الحقيقية في تطبيق العبودية الحققة لله وحده، «فالإسلام لم يحجر على المرأة، ولم يمنعها من ممارسة حقوقها التي شرعها الله سبحانه وتعالى، ضمن حدود الأنظمة التي فرضها الله على المجتمع لسلامة أفرادها، أما إذا تجاوزت المرأة أو الرجل هذه الحدود، فهناك نظام رباني متكامل من الحدود والعقوبات التأديبية للحد من هذه التجاوزات.

إن الحرية التي تطالب بها المرأة حقيقةً هي أن تعامل في المجتمع على أنها مكرمة، كرمها الله تعالى كما كرم الرجل، وألا يهضمها الرجل حقوقها التي منحها الشرع»^(٢).

(١) انظر: الحمودي، د. فهد بن عبدالرحمن، مشورة النساء في السنة، بحث علمي محكم منشور: مجلة العلوم الشرعية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الحادي عشر - ربيع الآخر/ ١٤٣٠هـ، ص ٥٣-٩٧.

(٢) العبدالكريم، (د) فؤاد عبدالكريم، العدوان على المرأة في المؤتمرات الدولية، ص ٣٧ (بتصرف).

رابعاً : الحوار مع المرأة في قصة آل عمران

أفرد القرآن الكريم سورة كاملة باسم آل عمران، ثالث سورة في ترتيب المصحف العثماني، وثاني أطول سورة في القرآن الكريم، وسميت بقصة آل عمران، تلك القصة التي مهدت للمعجزة العظمى والآية الكبرى، وهي ولادة المسيح - عليه السلام - من غير أب نبياً ورسولاً.

وابتدأت قصة آل عمران، وهو أبو مريم - عليها السلام - في السورة بقوله تعالى :
 {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (آل عمران: ٣٣-٣٤).

« لقد ذكر السياق آدم ونوحاً فردين، وذكر آل إبراهيم وآل عمران أسرتين، إشارة إلى آدم بشخصه، ونوح بشخصه، هما اللذان وقع عليهما الاصطفاء، فأما إبراهيم وعمران، فقد كان الاصطفاء لهما ولذريتهما كذلك، فذكر آل عمران تخصيصاً لهذا الفرع الكريم من آل إبراهيم، ولمناسبة عظيمة هي ذكر قصة مريم عليها السلام، وقصة عيسى عليه السلام»^(١).

قال تعالى : {إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (آل عمران: ٣٥)، وهذا الحوار الذي ناجت به تلك المرأة الصالحة ربها، وهي تحمل بين جنببيها عطية المولى جل وعلا، فتضرعت إلى ربها أن يقبل منها هذه الهبة التي وهبتها لخدمة بيت المقدس.

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : « قيل : إن سبب قول امرأة عمران هذا أنها كبيرة لا تلد، وكانوا أهل بيت من الله بمكان، وأنها كانت تحت شجرة فبصرت بطائر يزيق فرحاً، فتحركت نفسها لذلك، ودعت ربها أن يهب لها ولداً، ونذرت إن ولدت أن تجعل ولدها محرراً، أي : عتيقاً خالصاً لله تعالى، خادماً للكنيسة،

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (١/٣٩١) (بتصرف).

حبيساً عليها، مفرغاً لعبادة الله وحده، وكان ذلك جائزاً في شريعتهم، وكان على أولادهم أن يطيعوهم»^(١).

من أجل هذا كان في تنمة ذلك الحوار الخاشع والمناجاة اللطيفة بين امرأة عمران وربها علاج لطيف لعادة بشرية عرفت في بعض الشعوب والقبائل منذ القدم بكرامية الأنثى، فجاء القرآن الكريم بعلاجها علاجاً لطيفاً بأسلوب حوارى يستخلص تلك الشائبة الفاسدة من قلوب المؤمنين بربهم، قال تعالى: { فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } (آل عمران: ٣٦).

وهذا الحوار من المرأة الصالحة زوجة عمران لربها بهذا الأسلوب، فيه مثال للمناجاة القريبة التي لا تكلف فيها ولا تعقيد، وهو مثال للحوار في من يشعر أنه يحدث قريباً سمياً ودوداً وقادراً على كل شيء، وهذا هو حال العباد المقربين من ربهم في حال مناجاتهم لرب العالمين.

ثم قالت: { وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ } : « وإنها قالت اعتذاراً عمّا قدمته من النذر المحرر لخدمة الكنيسة، وذلك لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها، وأن الأنثى لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدس والقيام بخدمة الكنيسة؛ لما يعترها من الحيض والنفاس»^(٢).

وذكر بعض المفسرين في قوله تعالى: { وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ } أي: « بمكانة الأنثى التي وضعتها، وأنها خير من كثير من الذكور، ففيه دفع لما يوهمه قولها من خسة المولودة وانحطاطها عن مرتبة الذكور، وقد بين ذلك بقوله: { وَلَيْسَ الذَّكَرُ } الذي طلبت أو تمنيت: { كَالْأُنْثَىٰ } التي وضعت، بل هذه الأنثى خير مما كانت ترجو من الذكر»^(٣).

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، (٦٨/٤).

(٢) الطبري، مرجع سابق (بتصرف).

(٣) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم المشهور ب (تفسير المنار)، (٢٨٩/٣).

ولا غرابة في هذا التأويل الشافي؛ وذلك لأن تلك المرأة الحكيمة العابدة أدركت بإخلاصها وخضوعها لربها قيمة العبادة في نفوس الأبناء، سواء أكان ذكراً أم أنثى، والتسليم المطلق بحسن اختيار الله لها بأن يكون مولودها أنثى دلالة على صلاحها، فأرادت أن تهب ذلك الجنين النابض ولو كان أنثى؛ لتكون مولودة لربها، عابدة له، قائمة على خدمته، وفي ذلك قطع لقول أي قائل بتفضيل الذكور على الإناث، فأردفت ذلك بقولها الكريم ودعائها القريب، قال تعالى: { وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } (آل عمران: ٣٦).

فهذا الحوار يشي بمدى حب الله والإخلاص له في قلب تلك المرأة، وحرصها الشديد على الالتزام بأمر ربها، والرضا بالعمل لدينه، في تلك الحال الصعبة والموقف المؤلم في لحظات الولادة العسيرة؛ لذا اختارت أن تُعيذ وليدتها وذريتها من الشيطان الرجيم.

وفي ذكر: { وَذُرِّيَّتَهَا }، أي: ذرية مريم دلالة على حسن استشراق المستقبل عند تلك المرأة الصالحة الحكيمة؛ لأن المقصود بالتعوذ: اللجوء والاعتصام.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ بني آدم يمسسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها)^(٢).

ثم جاءت النتيجة الباهرة لذلك الحوار الخاشع بين امرأة عمران وربها، في قوله تعالى: { فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا } (آل عمران: ٣٧).

«أي: تقبل مريم من أمها، ورضي أن تكون محررة، للانقطاع لعبادته وخدمة بيته، وهو أبلغ من قبلها، وزاده مبالغة وتأكيداً وصفه بالحسن، كأنه قال: فتقبلها ربها أبلغ قبول حسن: { وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا }، أي: ربَّها ونماها في خيره ورزقه وعنايته وتوفيقه تربية حسنة شاملة للروح والجسد، كما تُربى الشجرة في الأرض

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٤٤) قول الله تعالى: ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا ﴾، ح(٢٤٢١)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى - عليه السلام - ح(٢٣١٧)، واللفظ له.

الصالحة، حتى تنمو، وتثمر الثمرة الصالحة، لا يفسد طبيعتها شيء، ولعله عبّر عن التربية بالإنبات؛ لبيان أن التربية فطرية لا شائبة فيها»^(١). وفي هذه المحاور الجلييلة درس وعبرة لقطع عادة الجاهلية المقيتة في وأد البنات، ورد على الزاعمين أن في القرآن الكريم تقرير تفضيل الذكور على الإناث، فقد بارك الله تعالى قول تلك الأم الصالحة بقبول تلك الأنثى الكريمة مريم -عليها السلام-، واختارها بأن تكون حاملة المعجزة الحق إلى يوم الدين بولادة عيسى -عليه السلام - من دون أب .

فالفوس الصحيحة مفطورة على حب الولد، والخوف عليه، والعناية به حتى يصبح عضواً نافعا في المجتمع، وقد يكون ضرب الأبناء وإهانتهم وتحقيرهم دليلاً على فساد الفطرة النقية، وأظن أن الخلل الأكبر هو في ضعف الوازع الديني، وتحقيق مراقبة الله عز وجل، فقد وهب الله بعض الآباء النعمة الجلييلة، والمنحة الجسيمة من الولد الصالح، الذي يكون له عوناً على العمل الصالح في الدنيا والآخرة^(٢).

وبناءً على ما يحدث في هذا العصر من بعض الصور المشينة للعنف الأسري، وذلك يدل دلالة قوية على بعد بعض الناس عن معين القرآن الحكيم، والتدبر في قصصه ومواعظه، والإفادة من أسلوبه البياني في محاربة عادات الجاهلية النكراء: كالعنف الأسري، وتفضيل الذكور على الإناث، وذلك لا يعالج معالجة جذرية إلا بالحرص على تنشئة الأجيال عبر فتح نوافذ الحوار معهم في الأسرة والمدرسة والمجتمع، والذي يترتب عليه - بإذن الله - الحلول الفاضلة والمحاسن الباهرة.

(١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (٣/٢٩٢).

(٢) انظر: الشيباني، مناخي بن نايف، العنف الأسري، ص٦٠-٦٣ وما بعدها .

خامساً : الحوار مع مريم عليها السلام

في تتمة قصة امرأة عمران في ذلك الحوار القرآني البديع جاء ذكر كفالة زكريا - عليه السلام - النبي الأمين، مريم - عليها السلام - الخادمة لبيت المقدس، قال تعالى: {وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْحُرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (آل عمران: ٣٧) .

فالنفوس الطيبة المؤمنة يجود عليها الرحمن الكريم من فيوض العطاء وبركات الأرض والسماء، فتلك الفتاة العابدة المنقطعة في محرابها لذكر الله وتسبيحه وتقديسه أفاض عليها المولى من أنواع الرزق الوفير مع أن كفيلها نبي رحيم ، ومع ذلك حصل له العجب من ذلك الرزق العجيب، فتعددت المواقف الحوارية في قصة مريم -عليها السلام- وذلك من أعظم الرزق لما فيه من الحكمة البالغة، وكان من أبرزها ما يأتي :

الموقف الأول : الحوار بين زكريا ومريم عليهما السلام :

في هذا الموضوع يلتفت القرآن الكريم إلى تلك المحاورة الجميلة بين الكفيل ومكفولته تلك البنية الكريمة، ويورده في أجمل قالب من تصوير الموضع والمكان والخشوع ودقائق الحوار .

قال تعالى : { كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْحُرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } ، فما أجمله من سؤال للدلالة على العناية وحسن الرعاية من ذلك الكفيل الأمين، وما أزهاه من جواب، يجلله الإيمان بالله، والقناعة بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين .

« أي : أنها كملت أحوالها، وصلحت أقوالها وأفعالها، ونما فيها كمالها، وهذا من منة الله على العبد، أن يحصل له الرزق بلا كد ولا تعب ولا عناء، إنما هو كرامة

أكرمها الله به، وذكر: { الْحَرَابَ } وهو محل العبادة، وفيه إشارة إلى كثرة صلاتها وملازمتها لمحرابها، فلما رأى زكريا ما وهبه الله تعالى من النعم لمريم - عليها السلام - من البر ولطف الله بها توجه إلى ربه بحصول ما عجز عنه من طول العمر وعقم الزوجة، فقال تعالى: { هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ } (آل عمران: ٣٨).^(١)

فجواب تلك البنية العابدة وتقديرها: { إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } فيه تهيج للمشاعر الإيمانية، والتوجيه بحسن التضرع والابتهاال إلى سميع الدعاء، فقال: { رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً }، وهذا من بركات مريم بنت عمران - عليها السلام - على زكريا وابنه ليكون له عقب من أنبياء بني إسرائيل الكرام. فهذا الموقف أشار إلى ثقة الكفيل بمكفولته مريم العابدة، فظاهر صلاحها ينبىء عن عظم إيمانها، فلهج بالدعاء الكريم مع يقينه بصدق تلك المرأة وقوة إيمانها. وفي هذا الحوار الكريم دلالة على فضل كفالة اليتيم، حيث ورد في بعض الروايات أن مريم ولدت يتيمة من غير أب، فتبرع زكريا بكفالتها بعد قرع الأسهم على كفالتها بين أهل قومها .

فكان في هذا الحوار اللطيف بين زكريا - عليه السلام - كفيل مريم - عليه السلام - ومكفولته - عليها السلام -، لتصويره وهو يبذل جهده في رعايته الفتاة اليتيمة العابدة، ونهية ما فيه كمال صلاحها وحسن نباتها، فقوله تعالى: { كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ } يدل على تكرار دخوله عليها في محرابها، وهي خاشعة مطمئنة حولها النعم الوفيرة، والحكم الغزيرة، مما هاج في نفسه التضرع لله أن يهب له ولداً صالحاً مثل تلك المباركة مريم، فكان له ما أراد، في خاتمة رائعة لذلك الموقف الحوارى، وليكون حقيقة الجزاء من جنس العمل، فلما كان العمل عظيماً

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٠٦.

والكفالة جميلة كان العطاء مباركاً، قال تعالى: { فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ } (آل عمران : ٣٩)، فنعم الوظيفة كفالة اليتيمة، ونعم الحوار الذي كان من نتائجه التضرع، والابتهاج لله تعالى، والانقطاع له في المحراب، حتى وهبه ولداً مباركاً ونبياً من الصالحين، «فحاجتنا الماسة إلى الحوار أفراداً وأسرةً ومؤسسةً ومجتمعاً وحضارةً وأمةً لكسب رضا الله تعالى ومحبه وصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم»^(١).

وفي هذا الحوار درس عظيم، وتأکید جميل على كرامة زكريا نبي الله - عليه السلام - وعمله العظيم بكفالاته مريم اليتيمة العابدة، وترسيخ القرآن الكريم فضيلة الإحسان إلى اليتيم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتأکید خيرية كفالة البنات والإحسان إليهن، والعمل على تعليمهن ورعايتهن بكل جميل من قول أو فعل، ويترتب على هذا الإحسان إلى البنات، خاصة اليتيمات خير الدنيا والآخرة.

الموقف الثاني: حوار الملائكة مع مريم عليها السلام:

لما كانت أسرة آل عمران من خير الناس الذين اصطفاهم الله جلّ جلاله، ولم يأت ذكر هذه الأسرة المباركة إلا عند قصة ولادة مريم -عليها السلام-، كانت هي السبب في اصطفاء تلك الأسرة وبركتها على العالمين، فكان من حق تلك المولودة الموهوبة الاصطفاء والاختيار، قال تعالى: { وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ } (آل عمران: ٤٢-٤٣).

« هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم -عليها السلام- عن أمر الله لهم بذلك إن الله قد اصطفاهَا، أي: اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهرها من الأكدار والوسواس، واصطفاهَا ثانياً مرة بعد مرة لجلالتهَا على نساء العالمين»^(١).

فإخبار الملائكة مريم -عليها السلام- بالاصطفاء والاختيار والتطهير، كانت مقدمة لاستقبال الأوامر الربانية لها بالقنوت والسجود والركوع، وهذا من نعم الله الجليلة على مريم -عليها السلام- لأن هذه الملائمة للعبادة دعت إلى كمالها واصطفائها على نساء العالمين، لتكون أمّاً للمسيح - عليه السلام - كلمة الله وروحه من غير أب.

عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد)^(٢).

وفي رواية عن أبي هريرة - رضي الله عنه - يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير نساء ركن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده، ولم تترك مريم بنت عمران بغيراً قط)^(٣).

وفي هذا الحديث درس لأفضلية المرأة المسلمة القائمة بالحنو على ولدها الصغير، ورعاية حال زوجها الفقير، وتدبيرها للمعاش، قال الإمام ابن حجر - رحمه الله -: «هذا تفضيل لنساء قريش على نساء العرب؛ لأنهم أصحاب الإبل غالباً»^(٤)، وهذا يدل على أثر العبادة، وتدبر معاني القرآن الكريم والقيام به، وآثار حسن تدبره على النفس والسلوك.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٩/٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٤٥) «وإذ قالت الملائكة يا مريم...»، ح (٢٤٢٢)، وصحيح مسلم، (٢٤٢٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٤٦) قوله تعالى [آل عمران: ٤٥-٤٨] ح (٢٤٢٣)، ومسلم، ح (٢٠٠) واللفظ له.

(٤) المستطاني، فتح الباري، (٤٧٣/٦).

من أجل هذا كانت تلك الأوامر الربانية لمريم -عليها السلام- بالعبادة الخالصة بالقنوت والركوع والسجود تهيئة ومقدمة للمعجزة العظمى، قال تعالى: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} (آل عمران: ٤٥).

وجاء في سورة مريم تفصيل أكثر لذلك الحوار، قال تعالى: {وَإِذْ كَرِهَ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا ، فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ، قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ، قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا} (مريم: ١٦-٢١).

فيا الله ما أعظم ذلك الحوار بين روح القدس جبريل -عليه السلام- وتلك الفتاة العذراء القانتة في مكان قصي، ليبشرها بغلام زكي في خلوة من الناس، فتنتطلق تلك الفتاة في حوار رائع يدل على حياء الفتاة وكمال إيمانها وجلال عقلها، فلم تطلب آية بينة على حصول المعجزة، ولم تصرخ وتنادي الملائكة حولها، لينقذوها مما تسمع، وإنما قالت بإيمان واثق وحجة قاطعة: {قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا}.

قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: «وقد خص الله مريم بما لم يؤتته أحدًا من النساء؛ وذلك أن روح القدس كلمها، وظهر لها، ونفخ في درعها، ودنا منها للنفخة، فليس هذا لأحد من النساء، وصدقت بكلمات ربها، ولم تسأل آية عندما بشرت كما سأل زكريا -عليه السلام- عن الآية، ولذلك سماها الله تعالى في تنزيله صديقة فقال: {وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ} (المائدة: ٧٥)، وقال: {وَوَصَّاتُ الْكَلِمَاتِ رَبُّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} (التحريم: ١٢)، فشهد لها بالصديقية، وشهد لها

بالتصديق لكلمات البشرية، وشهد لها بالقنوت، وبشرت مريم بالسلام فلحظت أنها بكر، ولم يمسهها بشر، فقيل لها: {كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ} فاقترضت على ذلك، وصدقت بكلمات ربها وكتبه، ولم تسأل آية من يعلم كنه الأمر، ومن لامرأة في جميع نساء العالمين من بنات آدم ما لها من هذه المناقب^(١).

فهذه الصديقة كان حوارها صادقا للوصول إلى السلامة والأمن، فطمأنها رسول ربها، ونفخ فيها نفخة دعوتها إلى الاستسلام للمضي في حملها، فأخفاه الله عن العيون، فلم يعلم به أحد، حتى جاء المشهد الأخير لولادة ذلك الغلام المعجزة.

الموقف الثالث: حوار المولود عيسى - عليه السلام - مع أمه في لحظة ولادته:

قال تعالى: {فَحَمَلَتْهُ فَاتَّبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا، فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا} (مريم: ٢٢-٢٦).

لتبدأ صورة مثيرة من الحوار اللطيف بين الأم العذراء المفجوعة في نفسها، التي تحملت من الآلام النفسية والحسية، مما جعلها تتمنى الموت قبل هذا اليوم العصيب، لكن يأتيها صوت من ذلك الوليد المعجزة الذي حاورها وناداه من تحتها بنداء جميل وصوت حنون .

وهذه صورة الحوار بين الأم ووليدها الذي استغرق في بطنها تسعة أشهر، يأكل من غذائها، ويتنفس من أنفاسها، ويحتمي برحمها، ليخرج في تلك الساعة معجزة عظمى شفيقاً حنوناً على تلك الأم، التي تحملت هذا العبء الكبير والمعاناة، التي

لا يطبقها بشر حسياً ونفسياً، لكن هذا هو الإيمان الحقيقي والآثار العظيمة التي تركها العبادة على نفوس الخاشعين الصديقين.

وفي هذا الموقف دلالة عظيمة على أهمية الحوار بين المرأة ووليدها الصغير وهو في بطنها أو بعد ولادته ، وأهمية هذا الحوار في بناء المشاعر النفسية السعيدة بين الأم ووليدها، وكلما تقدمت الأيام بعمر الجنين الوليد كان للحوار أهمية كبرى وفائدة عظيمة على الأم والوليد الصغير.

الموقف الرابع: حوار مريم -عليها السلام- مع قومها:

قال تعالى: { فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا ، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْيًّا ، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا } (مريم: ٢٧-٢٩).

فقوم مريم -عليها السلام- قد أنعم الله تعالى عليهم بنشأة هذه الأسرة المباركة بينهم، وكان لموقفهم مع مريم -عليها السلام- دلالة على التحضر والتعامل الحسن الذي بلغه المجتمع مع الصالحين من أبنائه، ويتمثل ذلك في موقفين:

الأول: الاقتراع لكفالة مريم - عليها السلام - وهي مولودة غضة محررة للعبادة، قال تعالى: { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ } (آل عمران: ٤٤).

فاستعمل أسلوب القرعة برمي الأقلام التي يكتبون بها التوراة، ففرعهم زكريا فكفلها، وما اهتمامهم بمريم -عليها السلام- وحسن رعايتها والاقتراع على كفالتها إلا دلالة على رقي المجتمع، وحسن نظرتهم إلى المولودة الأنثى رغبة في صلاحها والقيام على رعايتها، حتى تكبر رغبة في الأجر والثوبة^(١)، وفي إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الحادثة مع خفائها وكتمانها من النصارى واليهود

(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤٢/٢).

إلا دلالة على صدقه وحسن رعايته للبنات في رسالته الخاتمة الصالحة للبشرية جمعاء إلى قيام الساعة.

عن عائشة أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : (جاءني امرأة ومعها ابتنان لها فسألته ، فلم تجد عندي تمرة واحدة ، فأعطيتها إياها ، فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها ، ولم تأكل منها شيئاً ، ثم قامت وخرجت وابنتاها ، فدخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدثته حديثها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهنَّ كنَّ له سترًا من النار)^(١) .

الثاني : استعمال أحد أساليب الحوار الحسن وهو أسلوب تقديم القدوة الحسنة ، وهذا لا يصلح إلا لمن عرف عنه الصلاح والتقوى ، فوقع في خطأ ما ، فكان ذلك في نداء قومها لمريم - عليها السلام - قال تعالى : { يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا } (مريم : ٢٨) .

لذا كان من كلام عيسى - عليه السلام - في المهدي توجيهه لوالدته بالصمت ، قال تعالى : { فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا } (مريم : ٢٩) ، قال الإمام السعدي : « فإن إتيان المرأة بولد ، من دون زوج ، ودعواها أنه من غير أحد ، من أكبر الدعاوي ، التي لو أقيم عليها عدة من الشهود ، لم تصدق بذلك ، فجعلت بينة هذا الخارق للعادة ، أمراً من جنسه ، وهو كلام عيسى في حال صغره »^(٢) .

من أجل هذه المعجزة العظيمة وهي الإتيان بولد من غير أب ولا زوج والتصديق بها ، كان من المواقف الصعبة التي يختبر فيها قوة المجتمع ووثاقة روابطه الاجتماعية ، فكان في موقف إتيان مريم بوليد صغير بين يديها ولدًا لها اختبار صعب لها ؛ لذلك القوم ، الذين أحسنوا إليها بكفالتها لزرعها النبي الصالح ،

(١) أخرجه مسلم ، باب (٤٦) الإحسان إلى البنات ، ح (٢٦٢٩) .

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٤٤١ .

فقالوا لها : { يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا } فهو دلالة على التثبث والتحري والاستدلال بصلاح الآباء على صلاح الأبناء، « فالحوار يفيد في تنمية الثقة بالنفس لدى الإنسان، فبعض الناس يحتاج إلى الحوار مع الآخرين لتنمية ثقته في نفسه، فعن طريق الحوار يمكن الثناء عليه، وبيان مواطن القوة في شخصيته»^(١).

وفي هذا الموقف يعكس قدرة المجتمع على التمسك بالإحسان إلى الآخرين وتنمية الثقة في الأفراد، بعكس أولئك الذين يرمون المحصنات المؤمنات الغافلات من دون وجه حق، لذا توعدهم القرآن الكريم بعقوبة مضاعفة، قال تعالى : { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (النور: ٤)، وذلك درءاً للمفاسد العظيمة المترتبة على الريبة والشك، وقلب الأمور دون دليل أو برهان أو شاهد من إيمان.

ومن الدروس والعبر المهمة اهتمام المجتمع بالحوار قيمة وممارسة، فهو الوسيلة الوحيدة لاكتشاف الحقائق بعيداً عن الضرب والتعذيب والقتل والإهانة، وهكذا يتضح أن المجتمع الذي يسوده الحوار الحسن، والذي يمثّل لأوامر الله في رعاية البنات رعاية صالحة كريمة، يكافئه الله الكريم بمعجزة عظيمة حتى لا يبقى قول لمتقول جاهل، ولا كذبة لأفك أثيم، فتكلم ذلك الوليد في المهدي، ليدل على براءة أمه ونبوته وبركته إلى آخر الزمان.

من أجل هذا لما تكلم الناس في زوجة النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - في قصة الإفك العظيم، وخاضوا في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنزل الله آيات بينات تتلى إلى قيام الساعة، لتأديب من يخوض في أعراض المؤمنين الصادقين.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ، لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ} (النور: ١١-١٢).

وتتوالى الدروس والعبر من قصص القرآن الكريم في معالجة ما يصدر في المجتمعات البشرية من أخطاء أخلاقية أو سلوكيات عدوانية ضد المرأة، بترسيخ أسلوب الحوار الحسن مع نماذج من النساء، باستخدام الأساليب العقلية والعاطفية والوجدانية، ليتمكن المجتمع من المضي في مسيرة البناء والنماء، والإفادة من أعظم الموارد البشرية طاقة وعدداً وهي المرأة.

الخاتمة

الخاتمة

بعد أن تدبرت في آيات من كتاب الله الكريم في نماذج من الحوار مع المرأة في القرآن الكريم، جمعت ما توصلت إليه من معانٍ جميلة وحكم جلييلة في خاتمة أوجزها فيما يأتي :

- ١ . التفات القرآن الكريم إلى قضية الحوار مع المرأة لأهميته في بناء المجتمع المسلم، ودعوة إليه ليكون أسلوب التعامل الأمثل في المجتمع المسلم .
- ٢ . ذكر هذه الحوارات النموذجية في قالب القصص القرآنية وبأسلوبها البياني المعجز يحمل دلالات عظيمة على ضرورة دراسة هذه القصص واستنباط الدروس والعبر منها في كل مجالات الحياة .
- ٣ . جمع القرآن الكريم في نماذج الحوار مع المرأة بين وظائف متنوعة للمرأة بين الزوجة والأم والأخت والملكة والفتاة العابدة، للتأكيد على ضرورة تعلم أساليب الحوار، وفن التفاوض، واستخدام الدلالات العقلية والمنطقية، ورسم إستراتيجية الحوار الناجح بالنسبة إلى الرجل والمرأة .
- ٤ . تنوع الحوار مع المرأة في القصص القرآني بين قضايا عقدية، وموضوعات اجتماعية، ومحاسن أخلاقية للتوجيه بمكانة المرأة في المجتمع .
- ٥ . معالجة الحوار مع المرأة في القرآن الكريم لتفادي كثير من الأخطاء الاجتماعية التي يقع فيها الناس في هذا العصر، مثل: العنف الأسري، وعدم مشاورة النساء، وحرمانها من ميراثها الشرعي، وحقوقها الربانية، وتقليص حرياتهما بسبب الخوف من الخطأ .

٦ . تعزيز الأمن الفكري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي عن طريق الحوار مع المرأة، والإفادة من الطبيعة الأنثوية والمواهب الربانية التي وهبها المرأة في أصل خلقتها الكريمة، وتهذيب القرآن الكريم لها بالتشريعات الحكيمة والأخلاق الكريمة.

٧ . تفضيل أسلوب الحوار مع المرأة في القرآن الكريم على غيره من أساليب البيان القرآنية، دلالة على جمال هذا الأسلوب وأهميته للمجتمع المسلم، لمعالجة الانحراف العقدي والاجتماعي والنفسي لدى كثير من الناس .
وفي الختام: أوصي بضرورة دراسة موضوعات الحوار في القرآن الكريم لتكون دليلاً وهادياً ومرشداً لفتح نوافذ الحوار في مجالات المجتمع بأكمله .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . . والصلاة والسلام على الحبيب الأمين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

المراجع

قائمة بأهم المراجع

- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، حققه: محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة- الرياض: دار طيبة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- بكار، د. عبدالكريم بن محمد، بناء الأجيال، الطبعة الأولى، مجلة البيان: لندن، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- جريشة، المستشار الدكتور علي، آداب الحوار والمناظرة، الطبعة الأولى، دار الوفاء: المنصورة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- جميلة، مريم، (مارجريت ماركوس)، تحذير إلى المرأة المسلمة اليوم وغداً، ترجمة وتعريب: طارق السيد خاطر، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع: القاهرة.
- الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: أبو عبدالله عبد السلام بن محمد بن عمر علوش، الطبعة الأولى - دار المعرفة: بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- الحسين، د. عبداللطيف بن إبراهيم، الأمانة في الإسلام وآثارها في المجتمع، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي: الدمام، ١٤٢٦هـ.
- الخولي، البهي، الإسلام والمرأة المعاصرة، الطبعة الرابعة، دار القلم: الكويت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- الداود، عبدالله بن محمد، هل يكذب التاريخ، (مناقشات تاريخية وعقلية للقضايا المطروحة بشأن المرأة)، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- الديب، إبراهيم، المحاور المحترف (آداب ومهارات) الطبعة الأولى، أم القرى، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- الرازي، محمد بن عمر الشافعي، التفسير الكبير، الطبعة الأولى، دار

- الكتب العلمية: بيروت ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .
- الزنيدى، د. عبدالرحمن بن زيد، ثقافة المسلمة بناء وأداء، الطبعة الأولى، دار الفضيلة للنشر والتوزيع: الرياض، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- الزين، محمد بسام رشدي، المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، الطبعة الثانية، دار الفكر: دمشق، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - الطبعة الأولى - عنيزة: مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤٠٧هـ .
- أبو سليمان، الدكتور عبدالحميد أحمد، ضرب المرأة وسيلة لحل الخلافات الزوجية، الطبعة الثانية، دار الفكر: دمشق، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .
- أبو شقة، عبدالحليم محمد، تحرير المرأة في عصر الرسالة، الطبعة السادسة، دار القلم للنشر والتوزيع: الكويت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في توضيح القرآن بالقرآن، وتمتمه لتلميذه: عطية محمد سالم، الطبعة الأولى - دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، - الطبعة الثانية - دار الخاني: الرياض - دار الوفاء: المنصورة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- الشيباني، مناحي بن نايف، العنف الأسري (دراسة تحليلية لمعالجة صحيفة الرياض لجرائم العنف)، الطبعة الأولى، مؤسسة اليمامة الصحفية: الرياض، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م .
- الصقهان، عبدالله بن عمر، والشويعر، محمد بن عبدالله، قواعد ومبادئ الحوار الفعال، الطبعة الأولى، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني: الرياض، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط وتعليق: محمود محمد شاكر - الطبعة الأولى - بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- الطريقي، أ.د. عبدالله بن إبراهيم، الإسلام وحوار الحضارات - قراءة الحاضر واستشراف المستقبل - الطبعة الأولى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي وابنه، مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ..
- العبدالكريم، (د) فؤاد بن عبدالكريم، العدوان على المرأة في المؤتمرات الدولية، الطبعة الأولى، مجلة البيان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تصحيح وتحقيق: الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، طبعة: دار الفكر.
- ابن عطية، أبو محمد عبدالحق الأندلسي، المحرر الوجيز، تحقيق: مجموعة من المحققين، الطبعة الأولى، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. - بدون تاريخ النشر.
- العقاد، عباس محمود، المرأة في القرآن، المكتبة العصرية: صيدا - بيروت.
- عمارة، (د) محمد، الإسلام وحقوق الإنسان (ضرورات لا حقوق)، الطبعة الأولى، دار الشروق: القاهرة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- عمارة، التحرير الإسلامي للمرأة (الرد على شبهات الغلاة)، الطبعة الثانية، دار الشروق: القاهرة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية:

- بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- القوسي، مفرح بن سليمان، حقوق الإنسان في مجال الأسرة من منظور إسلامي، الطبعة الأولى، عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، حقق نصوصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط - الطبعة الثالثة - مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠٢هـ.
- بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، جمعه ودرّس أحاديثه: يسري السيد محمد - الطبعة الأولى - الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ.
- المجذوب، محمد، تأملات في المرأة والمجتمع، الطبعة الرابعة، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- مجموعة من الباحثين، موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إشراف: د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبد الرحمن بن ملوح - الطبعة الثانية - دار الوسيلة: جدة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير.
- محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار، الطبعة

- الثانية، بيروت : دار المعرفة - بدون تاريخ النشر .
- محمد، صلاح عبدالغني، الحقوق العامة للمرأة، الطبعة الأولى، مكتبة الدار العربية للكتاب: القاهرة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- المدغري، (د) عبدالكبير العلوي، المرأة بين أحكام الفقه والدعوة إلى التغيير، الطبعة الأولى، مطبعة فضالة: المغرب، ١٩٩٩م.
- مرسي، (أ.د) محمد عبدالعليم، الإسلام ومكانة المرأة، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان: الرياض، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- المغامسي، خالد بن محمد، الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، الطبعة الثانية، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني: الرياض، ١٤٢٦هـ.
- ابن منظور، لسان العرب، تنسيق وتعليق: علي شيري - الطبعة الثانية - بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- موسوعة الكتب الستة، إشراف: الشيخ صالح آل الشيخ - الطبعة الأولى - دار السلام: الرياض، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

المجلات والدوريات :

- الحمودي، د. فهد بن عبدالرحمن، مشورة النساء في السنة، بحث علمي محكم منشور: مجلة العلوم الشرعية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الحادي عشر - ربيع الآخر / ١٤٣٠هـ
- الدوغان، د. محمد بن أحمد، حكاية القول في القرآن الكريم، المشقر: مجلة ثقافية فصلية، النادي الأدبي بالأحساء، العدد الثاني، ربيع الأول، ١٤٣٠هـ / مارس / ٢٠٠٩م، ص ٦٢ - ٦٥

قواعد النشر في السلسلة

١. أن يكون الكتاب معنياً بإشاعة ثقافة الحوار، محققاً لأهداف المركز وتطلعاته.
 ٢. أن يتسم بالجددة والأصالة.
 ٣. أن يتبع المؤلف أسس المناهج العلمية توثيقاً وصياغة.
 ٤. تخضع جميع البحوث المقدمة لهيئة تحرير السلسلة للتدقيق والمراجعة.
 ٥. ألا يكون قد سبق نشره في مكان آخر.
 ٦. أن يكون الكتاب ذا صلة بالواقع والأحداث المعاصرة.
 ٧. يتراوح الكتاب من ٥٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ كلمة.
 ٨. يقدم المؤلف ثلاث نسخ مطبوعة من كتابه ونسخة إلكترونية على قرص (CD)، وملخص وجيز في حدود ثلاث صفحات.
 ٩. إرفاق سيرة ذاتية للمؤلف.
 ١٠. يتم إحالة البحث إلى فاحصين لإجازة البحث قبل نشره.
 ١١. يمنح المؤلف مكافأة مالية، إذا أجاز للنشر مع (١٠٠) نسخة من كتابه.
 ١٢. المكاتبات توجه إلى أمين هيئة تحرير سلسلة رسائل في الحوار، عبر البريد الإلكتروني: (rs@kacnd.org)
- فاكس: ٢٦٦٥٧٧٨ ١١ ٩٦٦ + هاتف: ٢٦٦٥٧٧٧ ١١ ٩٦٦ +
ص.ب: ٨٩٨٦٦ ، الرياض: ١١٦٩٢



مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني

ص.ب. 89866 الرياض 11692
المملكة العربية السعودية
P.O. Box 89866 Riyadh 11692,
Kingdom of Saudi Arabia



+966 11 2665777



+966 11 2665778



info@kacnd.org



www.kacnd.org